

تاريخ مصر وفضائلها

المنسوب خطأً لابن زولاق
لمؤلف من القرن العاشر الهجري

تحقيق
الدكتور علي عمر



الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

تاريخ مصر وفضائلها



المنسوب خطأً لابن زولاق
لمؤلف من القرن العاشر الهجري

تحقيق
الدكتور علي عمر
بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعتي
المنيا والإمام بالرياض

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

رقم الإيداع	٢٣٧٥/ ٢٠٠٢
I. S. B. N الترقيم الدولي	977 - 341 -063 -3



الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر - القاهرة
ت: ٥٩٢٢٦٢٠ - ف: ٥٩٣٦٢٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

ظل كثير من المؤرخين حتى اليوم ينسبون هذا الكتاب الذى نقدم له اليوم إلى ابن زولاق المتوفى سنة ٣٧٨هـ.

فبروكلمان ينسب فى كتابه تاريخ الأدب العربى ج٣ ص٨٣ كتابًا لابن زولاق بعنوان تاريخ مصر وفضائلها، ويشير إلى أنه الموجود بالمكتبة الوطنية بباريس برقم ١٨١٧ .

وسزكين كذلك فى كتابه تاريخ التراث العربى ج ١ ص ٥٨٢ ينسبه لابن زولاق، ولكنه يذكر أن عنوانه «تاريخ مصر وأخبارها» ويشير كذلك إلى أنه الموجود بباريس برقم ١٨١٧ .

وسار على هذا النهج كذلك الدكتور حسن إبراهيم حسن فى مؤلفه عن تاريخ الدولة الفاطمية، فنقل جملة من نصوص هذا الكتاب موضوع الدراسة، ونسبها إلى ابن زولاق، وصرح فى حواشيه المتعددة بأن هذه النقول عن كتاب ابن زولاق بالمكتبة الأهلية بباريس برقم ١٨١٧ .

كما اعتمده الدكتور عطية القوصى فى كتابه: «تجارة مصر فى البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية».

وينص صراحة فى نقوله على أنها لابن زولاق فى تاريخ مصر: مخطوطة بالمكتبة الأهلية بباريس برقم ١٨١٧ .

وقد تكرر لديه النقل عن ابن زولاق على هذه الصورة.

والحقيقة أن نسبة الكتاب لابن زولاق فى كل هذه الأقوال خطأ، إذ ورد فى صفحاته الأولى، وفى الورقة الثانية على وجه التحديد خبر ذُيِّل نصه بعبارة: «ذكره المقريزى فى كتابه المسمى بالخطط».

وابن زولاق توفى سنة ٣٨٧هـ، والمقريزى توفى سنة ٨٤٥هـ، أى قبل المقريزى بضع مئات من السنين.

يضاف إلى ذلك أن هذا الكتاب الذى نقدم له اليوم ورد فى آخره ذكر اسمى السلطان الغورى وطومان باى، وهما من ملوك مصر المماليك فى أوائل القرن العاشر الهجرى.

هذا ومما تجدر الإشارة إليه أن الدكتور حسن إبراهيم ذكر فى حواشيه فى كتابه عن تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٥٠ أن كتاب ابن زولاق - المكتبة الأهلية بباريس مخطوط ١٨١٧ هو موجز للسفر الضخم الذى ألفه فى تاريخ مصر، وأن هذا المخطوط قد أمدنا بمعلومات هامة عن تاريخ الخلفاء الفاطميين الأول إلى سنة ٣٨٦، ثم ذكر أن هذا المخطوط أكمله أحد الأتراك، ومن المحتمل أن يكون قد أدخل عليه معلومات استقاها من المؤرخين المتأخرين، أمثال القضاعى وأبى الفرج بن الجوزى، وسبط ابن الجوزى، والذهبى.

ومن المعلومات فى هذا الكتاب ما يتناول الكلام على سنة ٣٨٧هـ - أى سنة وفاة ابن زولاق، وما تلاها من السنين.

ومع هذا فذلك كله منسوب إلى ابن زولاق تتمة للعمل الذى بدأه، كما هو الحال فى كتاب الكندى: كتاب القضاة، الذى بدأه الكندى حتى وصل إلى سنة ٢٤٦هـ، فجاء ابن زولاق وابن حجر فأكملاه، ومع ذلك فالحقائق التى وردت فى الكلام على سنة ٢٤٧هـ، وما تلاها تنسب أيضًا إلى الكندى، مع أنه لم يكتب إلا الجزء الأول من ذلك الكتاب الذى ينسب إليه ويعرف بنفس الاسم.

قلت: هذا القول يستقيم لو أن القسم الأول فى كتابنا هذا اقتصر على كتابات ابن زولاق ولم ترد فيه نقول عن الذهبى والمقريزى وغيرهما.

وربما لو خلا القسم الأول عن ذكر هؤلاء المؤرخين اللاحقين لأمكن نسبة الكتاب لابن زولاق، ولأمكن القول بأن بعض المؤرخين اللاحقين أكمله، كما هو الحال فى كتاب الكندى.

وبما أن الأمر يختلف هنا عما هناك فالكتاب ولا ريب لمؤرخ من القرن العاشر الهجرى لا يُعرَف اسمه.

هذا وقد استندت فى تحقيق هذا النص إلى مخطوطتين مع مقارنتهما بأهم المصادر المتعلقة بموضوع النص.

١- نسخة المكتبة الأهلية بباريس برقم ١٨١٧، وعدد أوراقها ٩٣ ورقة، وعنوان الكتاب كما جاء على طرة هذه النسخة «تاريخ مصر وفضائلها» وهذه النسخة كثيرة التصحيف والتحريف، وبها سقط فى عدةِ مواضع، وتاريخ نسخها سنة ١٠٧٣هـ.

٢- نسخة أخرى مخطوطة بخزانة خاصة، كتبت بخط معتاد يجنح إلى الصحة والإتقان والضبط القليل، وفى حواشيها ما يفيد إلى قراءتها ومطالعتها.

هذا ولم أشر إلى النقص فى إحدى النسختين والزيادة فى النسخة الأخرى، والخطأ فى إحداهما والصواب فى الأخرى، بل اتخذتهما أصلين يكمل بعضهما بعضًا، ويُصوِّب بعضهما بعضًا، وأشرت فقط إلى ما يضاف إلى متن الكتاب من كتب أخرى.

هذا وأذكر بالفضل والشكر الأستاذ أحمد أنسى صاحب ومدير مكتبة الثقافة الدينية لما لقيت منه من عون فى إحضار مخطوطة هذا الكتاب من باريس فى رحلته إليها هذا العام.

ولولا ما بذله من جهد لما تيسر إخراج الكتاب ولظلت الأوهام عالقة بأذهان كثير من الباحثين والدارسين فيما يتصل بالمؤلف وكتابه إلى حين.

القاهرة فى يوليو سنة ٢٠٠١م **د. على عمر**

C. Berault
S R

نسخة باريس بالمكتبة الوطنية ذات الرقم ١٨١٧

هذا تاريخ مصر وفضايلها لابن زولاق علي التمام

Historia aegypti et rerum quibus excellit auctore ibn Zoulac Ali el Tamam

histoire particuliere ou Annales de la ville du Caire et provinces

par Zoulac Ali el Tamam

صفحة العنوان من نسخة باريس

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. اعلم أيها السامع وفقني الله وإياك لطاعته إن مصر كانت من أجل البلاد قدرا وأكثر ذكرا وأعجب حوادثا وأعظم خيرا وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز مصر ومحاسنها في عشرين موضعا تارة بصريح اللفظ وتارة بالإيما وأما الآيات فمنها قوله تعالى ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين وقال تعالى مخبرا عن فرعون حين قال أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون. وبالإشارة والإيما قوله تعالى فأخرجناهم من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا

الصفحة الأولى من نسخة باريس

ثم اخوه الملك المنصور عبد العزيز ثم الخليفة العباس ثم
المؤيد شيخ ثم ولده المظفر احمد خلع وسجن حتى مات ثم
الظاهر بليبرس ثم ولده الصالح محمد ثم برسباي ثم ابنه العزيز
يوسف ثم الظاهر جقمق وابنه المنصور عثمان خلع وسجن حتى
مات ثم الاشرف اينال ثم ابنه المؤيد احمد ثم الظاهر خشقدم
ثم الظاهر بلباي ثم الظاهر تمربغا ثم الاشرف قايتباي فكان
هو السادس عشر اقام اربع سنوات ثم خلع لنفسه ثم اعتيد
في يوم بسبب [illegible] ثم اقام حتى مات ثم تولى بعده الملك
الناصر محمد ثم تولى بعده خاله الملك الظاهر قانصوه ثم تولى
بعده الاشرف جان بلاط ثم العادل طومان باي ثم الاشرف
قانصوه الغوري فكان جملة السلاطين خمسين ثم
تولى طومان باي ابن اخي الغوري ثم سليم شاه ثم ولده سليمان
والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا ابدا دائما الى يوم الدين
تم [illegible] سنة ١٠٧
٣٢٧

الصفحة الاخيرة من نسخة باريس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين وعلى اله وصحبه اجمعين اعلم ايها الناصح نفعني الله واياكم بالطاعة ان مصر كانت من اجل البلاد قدرا واكثرها ذكرا واعجبها حوادثا واعظمها برا قد ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز مصر ومحاسنها في عشرين موضعا تارة بصريح اللفظ وتارة بالايماء ولما الايات فمنها قوله تعالى ادخلوا مصر ان شاء الله امنين وقال تعالى مخبرا عن فرعون حين قال اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون وبالاشارة قوله تعالى فاخرجناهم من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين وقوله تعالى مخبرا عن يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض يعني ارض مصر وقال صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليكم بعدي مصرا فاتخذوا منها جندا كثيفا فذلك خير اجناد الارض فانهم في رباط الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم قسمة البركة عشرة اجزاء في مصر تسعة اجزاء وجزءا واحدا في سائر الارض وقال صلى الله عليه وسلم اهل مصر قوم ضعاف فما كادهم

الصفحة الاولى من نسخة بخزانة خاصة

الملك الناصر محمد قيل ثم تولى بعده خاله الملك
الظاهر قانصوه ثم تولى بعده الاشرف جان بلاط
ثم العادل طومان باي ثم الاشرف قانصوه
الغوري فكان جملة السلاطين خمسمايه
ثم تولى طومان باي بن اخي الغوري
ثم سليم شاه ثم ولده سليمان
والله تعالى اعلم بالصواب
واليه المرجع والماب وكان
الفراغ من كتابة هذه
النسخة المباركة
يوم الخميس تاسع
شعبان سنة تسع
وتسعين الهلالية
احسن الله عاقبتها والحمد
لله وحده
ام

الصفحة الأخيرة من نسخة بخزانة خاصة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله رب العالمين، والصـلاة والسلام على سيـدنا محمـد خاتم النبيـين، وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

اعلم أيها السامع، وفقنى الله وإياك لطاعته، أن مصر كانت من أجل البلاد قدراً وأكثر ذكراً وأعجب حوادث وأعظم خبراً.

[ذكر المواضع التى وقع فيها ذكر مصر فى القرآن]

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز مـصر ومحاسنها فى عشرين موضعاً، تارة بصريح اللفظ، وتارة بالإيماء، فأما الآيات التى بصـريح اللفظ فمنها قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (سورة يوسف: ٩٩) وقال تعالى مخبراً عن فرعون حين قال: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ (سورة الزخرف: ٥١).

وبالإشارة والإيماء، فمنها قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ (سورة الدخان: ٢٥- ٢٧). يعنى مصر. وقوله تعالى مخبراً عن يوسف عليه السلام: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ﴾ (سورة يوسف: ٥٥) يعنى أرض مصر.

[ما روى عن رسول الله ﷺ فى ذكر مصر]

وقال ﷺ: «إذا فتح الله عليكم بقرى مصر فاتخـذوا منها جنداً كثيفاً، فذلك الجند خير أجناد الأرض لأنهم فى رباط إلى يوم القيامة»[١].

وقال ﷺ: «قُسمت البركة عشرة أجزاء، جعل الله منها تسعة أجزاء فى مصر وجزءاً واحداً فى سائر الأرض»[٢].

---

(١) أورده صاحب الكنز برقم ٦٢ ٣٨٢.
(٢) أورده ابن ظهيرة ص ٧٦.

وقال ﷺ : «أهل مصر قوم ضعاف، ما كادهم أحد إلا كفاهم الله مئونته»[١].

وروى فى بعض الأخبار أن الله تعالى يقول لساكنى مصر يوم القيامة: ألم أسكنكم مصر؟ أما كنتم تشبعون [من خبزها وتروون] من نيلها[٢].

وهذا من جملة النعم لا من باب المناقشة.

[آثار موقوفة]

وقال كعب الأحبار رضي الله عنه: لولا رغبتى فى بيت المقدس لما سكنت إلا مصر، قيل له: ولم ذاك؟ قال: لأنها بلد معافاة من الفتن، ومن أراد بها سوءًا قصمه الله تعالى[٣].

[دعاء الأنبياء لمصر]

وروى أن آدم، عليه السلام، أول من دعا لها بالبركة والخصب والرأفة، ولما أهبط إلى الأرض مُثِّلَت له الدنيا جميعًا، شرقها وغربها، وجبلها وأنهارها، ومن يسكنها من الأمم، فلما نظر آدم، عليه السلام، ذلك ورأى مصر بين جبلين وفى وسطها نهرًا جاريًا ينحدر من الجنة، من تحت سدرة المنتهى، وأعجبته، فدعا لها بالبركة فى زرعها وفى نبتها، سبع مرات[٤].

وكذلك نوح، عليه السلام، دعا لها بالبركة والخصب، هكذا ذكره المقريزى فى كتابه المسمى «بالخطط[٥]».

---

(١) أورده النويرى ج ١ ص ٣٤٦.

(٢) أورده ابن الكندى فى فضائل مصر المحروسة ص٢٨، والسيوطى فى حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢ وما بين حاصرتين منهما.

(٣) أورده السيوطى فى حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١.

(٤) أورده السيوطى فى حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٠.

(٥) الخطط ج ١ ص ٢٦ - ٢٧ والنقل عن المقريزى هنا من الأدلة على أن الكتاب الذى بين أيدينا ليس لابن زولاق.

[ذكر اشتقاق مصر]

وقال أبو الحسن المسعودى: إن مصر كان اسمها قديمًا درسان، أى: باب الجنان، وسميت بعد الطوفان جزلة[١]، وقيل: إن سبب اسمها مصر لأن مصرام بن مصريم بن بيصر بن حام بن نوح، عليه السلام، سميت باسمه، غير أنهم أسقطوا من ذلك الاسم الميم لكثرة استعماله، وهو اسم أعجمى لا ينصرف، والله أعلم[٢].

[ذكر حدود أرض مصر ومسافتها]

قال أبو الصلت أمية الأندلسى[٣]: إن حد إقليم مصر طولا من مدينة برقة إلى عقبة أيلة، نحو أربعين يومًا، ومسافة حدها فى العرض من مدينة أسوان، من أعمال الصعيد، إلى العريش، عند الشجرتين والحفائر التى هناك[٤].

وقيل: إن حد إقليم مصر الشمالى من برقة إلى منتهى الواحات السبع، ويمتد إلى بلاد النوبة من حد أسوان إلى منتهى بحر الروم عند ثغر دمياط إلى ساحل رشيد [إلى الإسكندرية، آخذ جنوبًا إلى ظهر الواحات إلى حدود النوبة. والحد الشرقى من بحر القلزم قبالة أسوان إلى عيذاب، إلى القصير، إلى تيه بنى إسرائيل، ثم يعطف شمالاً إلى بحر الروم من عند الحفائر التى هناك خلف العريش، وينتهى إلى ثغر دمياط إلى رشيد إلى الإسكندرية، ثم ينعطف إلى برقة من الساحل حيث ابتدأ منه][٥].

وكان إقليم مصر متصلاً بالعمارة على شطّى النيل، كأنها مدينة واحدة، مشتبكة بالأشجار المثمرة، بالفواكه اليانعة، والقرى العامرة، حتى كان المسافر يسير من ثغر

---

(١) لدى المقريزى فى الخطط ج ١ ص ١٨: «ويقال: كان اسمها فى الدهر الأول قبل الطوفان جزلة ثم سميت مصر».

(٢) الخطط ج ١ ص ١٨.

(٣) هو أمية بن عبد العزيز الأندلسى أبو الصلت، من أهل دانية بالأندلس، رحل إلى المشرق فأقام بمصر عشرين عاما، من تصانيفه: الرسالة المصرية توفى سنة ٥٢٩ وهذا من أقوى الأدلة على أن الكتاب الذى نقدمه اليوم ليس لابن زولاق المتوفى سنة ٣٨٧ هـ.

(٤) الرسالة المصرية لأبى بالصلت ص ١٥، الخطط ج ١ ص ١٥، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٢.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٢ وما بين حاصرتين منه.

الإسكندرية إلى مدينة أسوان بلا زاد، بل يسير فى ظــل من الأشجار، وقرى عامرة، لا يحتاج فيها إلى زاد يحمله معه(١).

قال ابن عباس رضي الله عنه: كان فى زمن مصرام الذى سميت به مصر إذا زرعت أرضها وشملها ماء النيل تصير الحبة القمح قدر كلية البقرة، وكان طول القثاء أربعة عشر شبراً، كل واحدة. وكان طول الطرف القرع ثلاثين شبراً، وكان العرجون الموز يطرح ثلاثمائة موزة، وكل موزة رطلا واحدا، وكان العنقود العنب إذا قطف من البستان يحمل على بعير من كبره(٢).

وكانت الأترجة تشق نصفين من عظم خلقتها، ويحمل كل نصف منها على بعير، وكانت الحبة الكمثرى زنتها سبعمائة درهم، وكانت الرمانة الواحدة إذا قشرت يقعد فى قشرها ثلاثة أنفار، وكانت البطيخة الواحدة زنتها ثمانون رطلاً، وطول كل بلحة شبراً، وقس على ذلك بقية الفواكه والحبوب، وكل ذلك ببركة دعوة نوح، عليه السلام(٣).

قال ابن عباس رضي الله عنه: لا زالت الأرزاق تنقص والآجال كذلك إلى يومنا هذا(٤).

وقال المسعودى: لو زرعت أرض مصر كلها لوفت بخراج الدنيا بأسرها.

ذكر فضائل مصر ومن ولد بها من الانبياء عليهم السلام

ولد بها موسى، عليه السلام، وأخوه هارون، عليه السلام، ويوشع بن نون(٥).

ودخل إليها عيسى(٦) عليه السلام، وتوجه عيسى [إلى] الصعيد، ثم أقام بقرية هناك تسمى أهناس.

وكان بمصر النخلة المذكورة فى القرآن [فى] قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ (سورة مريم: ٢٥).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٢.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٠.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٠ - ١١.
(٤) ابن إياس ج١ ق١ ص١١.
(٥) ابن ظهيرة ص ٨٣.
(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ص ٢٩.

ودخل مصر أيضًا من الأنبياء: إبراهيم الخليل، ويعقوب، ويوسف، والأسباط، وأرميا، ودانيال، ولقمان الحكيم، عليهم السلام[١].

ودفن بها من الصحابة والتابعين جماعة كثيرة، وكذلك من العلماء، رضوان الله عليهم أجمعين.

وكان من أهلها مؤمن آل فرعون الذى أثنى الله عليه فى القرآن العظيم، ومنهم آسية امرأة فرعون التى أخبر الله عنها فى القرآن[٢].

ومن أهلها سحرة فرعون الذين آمنوا فى ساعة واحدة مع كثرتهم.

ذكر محاسن مصر وعجائبها وما فيها من أنواع

فيها ثلاثون نوعًا لا توجد إلا بها، وهى:

معدن الزمرد الذّبابىّ يوجد فى نواحى البهنسا، والشب اليمانى، والملح، والآبَنُوس[٣] الأسود، والرخام الملون، والأفيون، وهو عصارة الخشخاش، ودهن البلسان بأرض المطرية يتناهى فى ثمنه ملوك النصارى، ولهم فيه اعتقاد كبير[٤] والسمك الرعاد، وينفع للحمى إذا علق على المحموم فإنه يبرأ بإذن الله تعالى[٥].

وبها الحيات التى يعمل منها الترياق[٦] ومنافعه لا تحصى، والسَّقَنْقُور[٧] ومنافعه كثيرة، والحطب السنط[٨]، والقمح اليوسفى[٩]، ودهن السلجم، ومعامل الفراريج، فإنه لا يعمل

(١) فضائل مصر لابن زولاق ص ١٣.
(٢) ابن زولاق: فضائل مصر ١٤.
(٣) الآبَنُوس: شجر خشبه أسود صُلْب، ويصنع منه بعض الأدوات والأوانى والأثاث.
(٤) قارن ابن ظهيرة ص١٣٣.
(٥) الخطط ج١ ص٢٨.
(٦) الترياق دواء السموم.
(٧) السقنقور: حيوان برمائى، يتوالد من السمك والتمساح، فلا يشاكل السمك لأن له يدين ورجلين، ولا يشاكل التمساح لأن ذنبه أجرد، أملس، عريض، غير مضرس.
(٨) السنط: شجر من الفصيلة القرنية، له سوق غلاظ أمثال شجر الجوز، يستخرج منه الصمغ، ويكثر بمصر.
(٩) ابن ظهيرة ص ١٣٣.

فى غيـر مصـر، والنارنج، والأُتْرُج المدور، وقـيل: إنه حمل من أراضى مـصر إلى بلاد الهند وزرع بمصر بعـد الثلاثمائة من سنى الهجرة ولم يعهـد بمصر قبل ذلك[١]. والخوخ الزهرى الأحمر[٢]، والعسل النحل المصرى من بنها، ونتاج الخـيل والبغال والحمير يفوق على غيرهم مـن سائر البلاد[٣]. ويعمل بهـا أجلال الخيل، ومـقاطع الشـرب التى تعمل بدمياط، وبها العِرْس والنِّمْس[٤] يأكلون الثعابين، ولولا هو ما سكنت مصر[٥].

وبها البطيخ الصيفى الذى منافعـه لا تحصى، وقيل: إن ذريعة البطيخ نقلت من الهند إلى مصر فى أيام القبط[٦].

وبها الرخام المرمر، وبها البرسيم الذى تربط عليه الخيل فى زمن الربيع، وبها الكتان وخيار الشنبر[٧] الذى منافعه لا تحصى، وأصل المنـافع، كون أن ذلك يشرب من ماء النيل المبارك الذى من شرب منه هضم ما عنده من الأكل.

وقال بعض الحكماء: لولا الليمون على أهل مصر لوخموا من حلاوة ماء النيل.

وبها العوسج[٨] ومنافعه لا تنكر.

قيل: إنمـا فُضِّلت مصـر على الشام بأربعـة أشياء: اللحم الضـأن العربى، وبحبـها، وبمائها، وبعسلها[٩].

ومن فضائل مصر أن الرخامة الخضراء التى فى الحجر عند الكعبة من مصر، بعثها إلى الكعبـة محمـد بن طريف، مولى العبـاس بن محمـد فى سنة إحدى وأربعين ومـائتين من

(١) الخطط ج ١ ص٢٨.
(٢) ابن ظهيرة ص ١٣٣.
(٣) ابن ظهيرة ص١٣٢.
(٤) ابن ظهيرة ص ١٣٤.
(٥) ابن ظهيرة ص ١٣٤.
(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٤٢.
(٧) خيار الشنبر: ضرب من الخروب، شجره مثل كبار شجر الخوخ.
(٨) العوسج: نوع من شجر الشوك.
(٩) ابن ظهيرة ص ١٨٦.

الهجرة، وبعث معها رخامة أخرى فستقى وضعت على سطح الكعبة عند المبزاب، وقيل: طولها ذراع بالعمل، وعرضها مثل ذلك، ذكره الفاكهى فى «تاريخ مكة[١]».

قال المسعودى: إن كل قرية من قرى مصر تصلح أن تكون مدينة على انفرادها[٢].

قال الله تعالى فى حق قرى مصر: ﴿وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (سورة الشعراء: ٣٦).

قال القضاعى: لم يكن فى الأرض ملك أعظم من ملك مصر، فإنها لو زرعت جميعها لوفت بخراج الدنيا بأسرها[٣].

وهى أكثر البلاد كنوزًا وعجائب وآثارًا، لا سيما بلاد الصعيد، فإنها ملآنة بالعلوم الجليلة والحكم والطلسمات وغير ذلك[٤].

وسُئل بعض الحكماء عن مصر، أى وقت تطيب أرضها؟ فقال: إذا اعتدل هواها وارتفع وباها، وطاب مرعاها[٥].

وذلك يكون فى زمن الربيع قبل طلوع الشمس وقت اضطراب الأنهار، وتغريد الأطيار، وتفتح الأزهار، تشبه جنة الفردوس[٦].

ووصف بعض الحكماء أرض مصر، فقال: مصر ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء، وثلاثة أشهر مسكة[٧] سوداء، وثلاثة أشهر كهربة صفراء، وثلاثة أشهر زُمردة خضراء، فتبارك الله أحسن الخالقين[٨].

فالثلاثة التى تصير فيها لؤلؤة بيضاء هى: أبيب ومسرى وتوت، يكون الماء عليها فيها وتصير ضياعها مثل الكواكب فى السماء فلا يصل إليها أهلها إلا بالزوارق[٩].

---

(١) نقله المقريزى فى الخطط ج ١ ص ٢٨ - ٢٩.
(٢) نقله الشرقاوى فى تحفة الناظرين ص ١٤.
(٣) نقله الشرقاوى فى تحفة الناظرين ص ١٤ - ١٥.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٧.
(٥) الخطط ج ١ ص ٢٦، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٧.
(٦) ابن الكندى ص ٣٩، ابن ظهيرة ص ٢١٦، ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٣٧.
(٧) مسكة: قطعة من المسك.
(٨) مروج الذهب ج ١ ص ٣٣٩.
(٩) مروج الذهب ج ١ ص ٣٣٩.

وأما الثلاثة أشهر التى تصير فيهـا مسكة سوداء فهى بابة وهاتور وكيهك، ينصرف الماء عنها فتصير كالمسكة السوداء(١).

وأما الثلاثة أشهر التى تصير فيها كالزمردة الخضراء فهى: طوبة وأمشير وبرمهات يظهر فيها الزرع فيصير كالزمردة الخضراء(٢).

وأما الثلاثة التـى تصير فيهـا كهربة صفـراء فهى: برمودة وبشنس وبئونة، يدرك فـيها الزرع ويحصد فتصير مثل السبيكة الذهب الصفراء(٣).

وقد قال بعض الشعراء:

كل وقت فى مـصـر أمر عـجـيب

نحن منه فـى السـعـد كـالأغـنيـاء

ذهب حــيــثـمــا ذهبـنا ودرٌّ

حـيث درنا وفـضة فى الـفضـاء(٤)

وفى مصـر كل شهر يوجد نوع من الـمأكول والمشـموم فيقـال: رطب توت، ورمان بابة، ومـوز هاتور، وسـمك كـيهك، ومـاء طوبة، ورمـيس [أى خروف] أمشـير، ولبن برمهات، وورد برمودة، ونبق بشنس، وتين بئونة، وعسل أبيب، وعنب مسرى(٥).

والسبع زهـرات التى تجتمع فـى وقت واحد، وليس يجـتمع ذلك فى بلدة غـيرها فى أواخـر فصل الشتـاء وهى: النرجس، والبنفـسج، والورد النصـيبى، والـقحـابى، وزهر النارنج، والياسمين، والنسرين(٦).

---

(١) مروج الذهب ج ١ ص ٣٣٩.
(٢) مروج الذهب ج ١ ص ٣٣٩، بدائع الزهور ج١ ق ١ ص ٣٨.
(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٣٨.
(٤) ابن إياس ج١ ق١ ص٣٨.
(٥) أورده الشرقاوى فى تحفة الناظرين بنصه ص ١٥، وما بين حاصرتين منه.
(٦) أوردها ابن إياس بنصهـا ج ١ ق ١ ص ٤٠ وأضاف «البان» بدلا من النسرين ثم قـال: وأما زهر النسرين، وإن كـان من أعظم الزهور رائحة، فإنه غـير معدود فى جـملة هذه السبع زهرات، لأنه يأتى فى آخر أيام الورد الجورى (القحابى) فـلا يلحق النرجس ولا البنفسج، فلم يكن معدودا فى جملة هذه السبع زهرات، لأجل تأخره عنهم وانظر لذلك أيضًا: تحفة الناظرين ص ١٥.

وأهل مصر الغالب عليهم كثرة الأفراح واتباع الشهوات والانهماك فى اللذات وتصديق المحال، وفى أخلاقهم رقة وقلة غيرة، وعندهم بشاشة وملق، وعندهم مكر وخداع، ولا ينظرون فى عواقب الأمور، وعندهم قلة الصبر على الشدائد، والقنوط من الفرج، وسرعة الخوف من السلطان[١].

وأهل مصر يتحدثون بالأشياء ويخبرون بالأمور المستقبلة قبل أن تقع[٢].

ويقال: مصر بأقوالها[٣].

وقال الشهاب المنصورى:

اعـــملوا أهـل مـــصـــر لله شـكراً
وقلـيل مـن العـــبـــاد الشـكورُ
إن مـــصـــراً ســـقى الإله ثـراها
بـلد طـيب وربٌ غـــفـــور[٤]

---

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٤٨ وأورده تحت عنوان: أخلاق أهـل مصر، وانظر تحـفة الناظرين ص ١٥.

(٢) ابن إياس ج١ ق١ ص٤٨.

(٣) تحفة الناظرين ص١٦.

(٤) ابن إياس ج١ ق١ ص٥١.

أول من ملك مصر من الجبابرة

تبليل [الألسن]: وهو الذى بنى مصر القديمة وهى من أعظم المدائن، وبها من العجائب ما لم يسمع بمثله، ولكن محا الطوفان رسمها ونسى اسمها.

ثم أقام تبليل بمصر نحو مائة وثمانين سنة[١].

وكان له من الأولاد ثلاثة، وهم: نَقْرَاوُس[٢]، ومصرام، وعيقام.

فلما هلك قسم البلاد بين أولاده، فأما ابنه نَقْرَاوُس فإنه انفرد بعلم الكهانة والطلسمات، قيل: إنه انتهى إلى بحر المحيط وبنى له هناك قلعة، وكانت الشياطين تحمل سريره على أعناقهم ويطوفون به فى سائر أقاليم الدنيا ثم يرجعون إلى قلعته التى بناها فى وسط البحر المحيط، فاستمر على ذلك حتى هلك[٣].

ثم تولى من بعده أخوه مصرام، وهو الذى بنى مدينة [مصر] وإليه تنسب، وكان عالمًا بعلم الكهانة والطلسمات، وكان قد كتب على أبواب مدينته: أنا مصرام بن تبليل، قد بنيت هذه المدينة وأودعت بها الطلسمات الصادقة والصور الناطقة[٤].

وهو الذى سار فى الأرض حتى انتهى إلى منبع النيل، وبنى الجسور والقناطر، وأصلح مكان مجراه، وقطع منها الجبال التى كانت تعوق جريان الماء، واستمر سائحًا فى الأرض نحو ثلاثين سنة، ثم هلك[٥].

وتولى من بعده أخوه عيقام، وكان عالمًا بعلم الكهانة والسحر، وهو الذى يحكى عنه حكايات غريبة لا تقبلها العقول لعظمها[٦].

---

(١) حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٢، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٦٤، وما بين حاصرتين منهما.
(٢) لم تتفق المصادر على هذه الأسماء، بل كل مصدر يخالف الآخر.
(٣) حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٢، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٦٤.
(٤) نهاية الأرب ج ١٥ ص ٨.
(٥) قريب منه ما ذكره بالسيوطى فى حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٢.
(٦) حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٢.

وقيل: إن إدريس عليه السلام رفع إلى السماء فى أيامه[١].

وقيل: إن عيقـام توجه إلى خلف خط الاستواء وبنى هناك قلعة من نـحاس أصفر فى سفح جـبل القُمْـر الذى ينحدر من أعـلاه الماء، رصنع هناك خـمسـة وثمانين تمـثالاً من النحاس الأصفـر، يخرج من حلوقها ماء النيل ويصب فى بطائح هناك ثم ينحـدر إلى مصر وأرضها بقانون وتدبير بما يكون لأهل مصر فـيه المنفعة دون الفساد، وقدر ذلك على ستة عشر ذراعًا بما تروى به أرض مصر جميعها من هذه الستة عشر ذراعًا، واستمر عيقام ساكنًا فى القصر النحاس الذى بناه على سفح جبل القُمْر حتى هلك[٢].

وتولى من بعده ولده عرياق، وكان عالمًا بعلوم الطلسمـات وله أعمال عجيبة، منها أنه عمل شجـرة من نحاس أصفر ولها فـروع إذا قرب منها الظالم اختطفتـه بتلك الفروع، فلا تفلته حـتى يقر بظلمـه، ويخرج من ظلامـة خصمـه وقيل: إن هاروت ومـاروت كانا فى زمانه[٣].

وكان عـرياق يميل إلى النساء الحـسان، فتغـايرت عليه النساء فـعملت إحداهن طعـامًا وجعلت فيه سما وقدمته إليه فأكله فمات من وقته وساعته.

وكان قد عمل قبة عظيمة فى وسط مدينة أمـسوس، وعمل فوقها كالسحابة تمطر مطرًا خفيـفًا شتاءً وصـيفًا، وعمل تحت تلك القـبة مطهرة فيـها ماء أخضر، يتـحصل من ذلك المطر، فإذا استعمله من به أذى أو عاهة فإنه يبرأ بإذن الله تعالى من وقته وساعته[٤].

فلما هلك تولى من بعـده ولده لوجيم، وكان عالمـًا بالسحر والطلسمـات، وله أعمال عجيبة، منها أن الغربان كانوا كثروا فى أيامه، وصاروا يفسدون الزرع والغلال، فعمل أربع منارات فى جوانب مدينة أمـسوس، وجعل على كل منارة صورة غراب وعليـه صورة حية وقد التوت [عليه] فلما عـاينوا الغربان ذلك نفروا عن تلك المـدينة ولم يدخلوها بعد ذلك أبدًا مدة حياته[٥].

(١) حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٢.
(٢) بدائع الزهور ١ ق ١ ص ٦٦.
(٣) ورد لدى ابن إياس بنصه كما هنا ج ١ ق ١ ص ٦٧.
(٤) ورد لدى ابن إياس بنصه كما هنا ج ١ ق ١ ص ٦٧.
(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٦٧ وما بين حاصرتين منه.

ومنها أنه عـمل طلسمات للريح، فكانـت المراكب المقلعـة إذا وصلت إليه تقف ولا تسير، حتى يعملوا له على كل مركب ضريبة يأخذها، فيطلق إليهم الريح من الجو فيسافروا به، واستمر على ذلك فى ملكه حتى مات.

وتولى من بعده ابنه خصليم، وكـان عالمًا فاضلاً فى السحر والطلسـمات، وله أعمال عجيبة، وهو أول من عمل مـقياسًا بمصر لزيادة النيل(١)، وعمل فى وسط ذلك المـقياس بركة يدخل إليها الماء الذى هو ماء النيل، على حافـة تلك البركة عقابان من نحاس أصفر: ذكر وأنثى، فإذا كان أول الشـهر الذى يزيد فيه النيل تجتمع هنالك الـكهان ويعبرون بكلام حتى يصـفُر أحـد العُقـابين، فإذا صَفَـر الذكر كـان النيل فى تلك السنة زائدًا عـاليًا، وإذا صفرت الأنثى كان النيل فى تلك السنة ناقصًا فيستعدون لذلك فى تحصيل جميع الغلال(٢).
وهو الذى بنى القنطرة الكبيرة ببحر النيل ببلاد النوبة واستمر فى الملك حتى هلك(٣).

ثم تولى من بعده ولده قفال، وكـان عالمًا فاضلاً فى علم السحـر والطلسمات، قيل: إنه عـمل تحت الأرض سـردابًا ينتـهى إلى بلاد الصـعـيـد، فكانت نسـاؤه يتزلن فى ذلك السرداب ويمشين فيه إلى بلاد الصعيد حتى يردن البرابى.

وقيل: إن نوحًا، عليه السلام، كان فى زمانه، واستمر فى الملك حتى هلك(٤).

وتولى من بعده تدرسـان، وكان عالمًـا فاضلاً فى علم السـحر والكهانة، وله أعـمال عجيـبة، منها أنه عمل قـصرًا من خشب نقش فيـه صور الكواكب وكان يضعـه على الماء ويجلس عليه، فـبينما هو جالس على ذلك القـصر وبين يديه سفرة الشـراب وحوله النساء الحسـان إذ هبت من الجو ريـاح عاصفـة فاضطرب وانقلب ذلك القـصر الخـشب بالملك تدرسان، فغرق هو ومن معه وأهلكوا جميعًا(٥).

---

(١) الذى لدى ابن عبد الحكيم ص ٣٦ والمـقريزى فى خططه ج ١ ص ٥٧: «أن أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام، وضع مقياسـا بمنف، ثم وضعت العجوز دلوكة ابنه زباء وهى صاحبة حائط العجوز، مقاسا بأنصنا...» وهذا هو الصحيح، وانظر لذلك أيضًا ابن ظهيرة ص ١٧٨.
(٢) حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٣ بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٦٧.
(٣) حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٣، ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٦٧.
(٤) حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٣، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٦٨.
(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٦٨.

ثم أنشد بعضهم:

تمـــتع من الدنيـــا بلذتـك التى
ظفـرت بهـا ما لم تعـقك العـوائق
فـما أمـسك المـاضى عليك بعـائد
ولا يومـك الآتى به أنـت رائق(١)

فلما هلك تولى من بعده ولده سرقاق، وكان عالمًا فاضلاً فى علم السحر والطلسمات وله أعمال عجيبة، منها أنه عـمل صورة بطة من نحاس أصفر قائمة على أسطوانة من رخام أخضر على باب المدينة، فإذا دخل إلى المدينة أحد غريب صفقت له تلك البطة بجناحيها وتصرخ حـتى يسمعهـا كل من فى المدينة فيـمسكوا ذلك الغريب بيـده، فكان فى أيامه لا يستطيع غريب يدخل المدينة إلا يمسك من وقته وساعته، حتى هلك سرقاق(٢).

وتولى من بعده الملك شهلوق، وكان عالمًا فـاضلاً فى علم السحر والطلسمات، وله أعمال عجـيبة، منها أنه عمل شجـرة من نحاس أصفر ونصبها على الـجبل الأحمر، فكان يقسّم بها الرياح إلى البلاد التى يريد الفساد بأهلها فلا يسـتطيعون بها الإقامة حتى يأتوا إليه ويدخلوا تحت طاعته(٣).

وفى أيامه ظهر معدن الفضة فى بلاد البجة، فامتـاروا منها شيئًا كثيرًا حتى عمل جميع أوانيه فضة، ونعالات الخيل فضة، واستمر شهلوق فى الملك حتى هلك(٤).

وتولى من بعده ولده سوريد، وكان عالمًا فاضلاً فى [علم] السحر والطلسمات، وكانت له أعمال كثـيرة، وكان أغنى ملوك الأرض(٥)، ثم إنه عـمل مرآة من أخلاط شـتى، فكان ينظر فيها جميع ما يقع فى الأقاليم السبعة من خير وشر، وما روى من أرضها بالماء وما لم يرو، وكانت تلك المرآة فى وسط مدينة أمسوس قائمة على جامة خضراء أسطوانة(٦).

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٦٨.
(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٦٨.
(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٦٨.
(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٦٩.
(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٦٩.
(٦) ابن إياس ج١ ق١ ص٦٩.

وقيل: إن سوريد هو الذى بنى الهرمين بمصر[١] اللذيْن لا تغيرهما الأزمان ولا الدهور[٢].

وقيل: إن الملك سوريد لما تم بناء الهرمين صنع له عيداً، وجمع له أعيان قومه وأولم فى ذلك اليوم الولائم العظيمة، وكسا الهرمين بالديباج الملون[٣].

وكتب عليهما بقلم الطير: أنا الملك سوريد، بنيت هذين الهرمين فى ستين سنة، فمن جاء بعدى وزعم أنه مثلى.فليهدمهما فى ستمائة سنة، فإن الهدم أيسر من البناء، وقد كسوتهما الديباج فاكسوهما بالحصر، إن استطعتم[٤].

واستمر سوريد فى الملك حتى مات.

وتولى من بعده ولده هوجيب، ودفن أبوه فى الهرم الكبير، وقيل: إن سوريد هو الذى بنى البرابى فى إِخميم.

وكان هوجيب حكيما فاضلاً فى علم السحر والكهانة، وله أعمال عجيبة، منها أنه عمل درهمًا إذا ابتاع صاحبه شيئًا اشترط أن يزن له ما يبتاعه منه بوزن هذا الدرهم ولا يطلب عليه زيادة فيغتر البائع ويقبل منه الشرط، فإذا وقع الوزن بذلك الدرهم فيزن قبالته جميع الأصناف ولا يعدله فى الوزن[٥].

وقد وجد هذا الدرهم فى كنوز الأرض بعد مدة طويلة، واتصل من ناس إلى ناس حتى وجد فى خزائن بنى أمية.

وكان من شأن ذلك الدرهم إذا أراد الرجل أن يبتاع فيقلبه فيقول له: يا درهم، اذكر العهد القديم الذى أنت عليه، ثم يبتاع به ما أراد، فإذا مضى إلى بيته فيجد ذلك الدرهم قد سبقه إلى ميزانه.

---

(١) الثابت الآن تاريخيا بعد الاستكشافات وقراءة الحروف الهيروغليفية أن بانى الهرم الأكبر الملك خوفو، وبانى الهرم الثانى الملك خفرع، وبانى الهرم الثالث الملك منقرع.

(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٦٩.

(٣) نهاية الأرب ج ١٥ ص ٢٥.

(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٧٠.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٧٢.

ويجـد البائع مكان ذلك الدرهم ورقـة بيضـاء من قرطاس أو ورقـة آس، فكان الناس يتعجبون من شأن هذا الدرهم، حتى فقد من الوجود إلى العدم[١].

واستمر هوجيب فى الملك حتى هلك.

ثم تولى من بعده ولده منقاوس، وكـان جبارًا عنيدًا سفاكًا للدمـاء، وكان يأخذ النساء الحسـان من أزواجهن غصـبًا، وكان يسـمع وصف الجنة من الكهان، فـقال: أنا أبنى فى الدنيا جنة مثلها، فـبنى له قصرًا من ذهب وفضة على شاطئ النيل وأجـرى فيه الأنهار من ماء النيل، وجعل بأرضه حـصباء الدر والجواهر، وكان يجلس فيه وحـوله النساء الحسان، فبينمـا هو جالس ذات يوم فى القصر وفى يده الكأس، فلما شرب الكـأس شرق فمات فى وقته، ودفن فى ذلك القصر الذى بناه[٢].

ثم تولى من بعده ابنه أفروس، وكـان عالمًا فاضلاً فى علم السحـر والطلسمات عادلا فى حق الرعية، حسن السيرة، وكان له أعاجيب فى كل فن، قيل: إنه بنى قبة على شاطئ النيل من نحاس أصفر، طولها خمسون ذراعـًا وعرضها مثل ذلك، وجعل حولها أطيارًا من ذهب وفضة إذا دخل الريح فى جوفها صفرت بأصوات مطربة بلغات شتى[٣].

وكان له مدهن من الياقوت الأحمر طوله خمسة أشبار، فكان يشرب فيه الخمر[٤].

وقيل: إن ذلك المدهن وجد بعد الطوفان فى بعض البرابى[٥].

واستمر أفروس فى الملك حتى هلك.

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٧٢.
(٢) خطط المقريزى ج ١ ص ١٣٣، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٧٢.
(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٧٣.
(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٧٣.
(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٧٣

[أول من ملك مصر بعد زوال الطوفان]

ثم تولى من بعده ابنه أرمالينوس، وكان جباراً عنيداً، وهو أول من ملك أرض مصر بعد زوال الطوفان ثم بنى مدينة منف.

وكان له ثلاثون ولداً فبنى لكل واحد منهم قصراً بمنف، وقيل: إنما سميت منف لأنها بلسان القبط ثلاثين، يعنى على عدد الأولاد الذين كانوا بها، واستمر بها حتى هلك(١).

ثم تولى من بعده ولده مصريم وهو مصريم الثانى الذى بنى مدينة مصر بعد الطوفان.

وهو مصريم بن بيصر بن حام بن نوح، عليه السلام، وهو من الأمم الثانية بعد مجىء الطوفان، حين أفنى الله العالم وأبادهم أجمعين، فبنى مصريم هذه المدينة وبه سميت مصر. وهو الذى شق بمصر الأنهار وغرس بها الأشجار بعد الطوفان، وهو الذى صنع بها الجسور وعقد بها القناطر(٢).

وكان له ولد يسمى قُبْطيم، وقيل: إن مصريم لما هلك تولى من بعده ابنه وأقام بها وعاش من العمر سبعمائة سنة، واستخرج المعادن من الأرض، واتخذ الكيل والميزان، وسار فى الناس سيرة حسنة حتى هلك.

وتولى من بعده ابنه قُفْطريم، وكان جباراً عنيداً كثير الظلم، بنى مدينة بمصر سماها باسمه وجعل لها أربعة أبواب، ونصب على كل باب منها صنماً من النحاس الأصفر، فكان إذا دخل إلى تلك المدينة غريب ألقى عليه النوم فلا ينتبه حتى يأتى إليه أحد من أهلها ينفخ فى دبره، فعند ذلك يفيق، وإن لم يفعل معه ذلك فلا ينتبه، ولا يزال نائماً حتى يموت(٣).

فلما هلك قفطريم تولى من بعده ولده البودشير، وكان عالماً فاضلاً بعلم الكهانة

---

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٧٤ - ٧٥.

(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٧٥.

(٣) نهاية الأرب ج ١٥ ص ٤٧.

والسحر، عمل شجرة من نحاس أصفر ووضعها فى الفضاء، فكان لا يمر بها طير ولا وحش إلا وقف بها فلا يتحرك حتى يقبض عليه باليد، وشبعت الناس من لحوم الطيور والوحوش، واستمر بمصر حتى هلك(١).

وتولى من بعده ولده فيملون، وكان عالمًا فاضلاً فى علم السحر والكهانة، حتى قيل: إنه كان يجلس فى السحاب فأقام بها مدة فى السحاب ستة أشهر، ثم ظهر لقومه عند طلوع الشمس، وهى برح الحمل، ثم أمر جنده أن يولوا ابنه عديم، فإنه ما بقى يرجع إليهم(٢).

فولوا ابنه عديم، وكان جبارًا عنيدًا، وهو أول من صلب أصحاب الجرائم، وعمل قدحًا لطيفًا من زجاج أخضر إذا صبَّ فيه الماء أو غيره وشرب منه أهل المدينة لا ينقص منه شىء، واستمر حتى هلك(٣).

ثم تولَّى من بعده شدَّات، صاحب إرم ذات العماد، وهو أول من اتخذ الصيد، وكان مولعًا به، واتخذ الكلاب السلوقية والجوارح بسبب الصيد، واستمر حتى هلك(٤).

وتولى من بعده ابنه منقاوُش، وكان عالمًا فاضلاً فى الكهانة والسحر، وتوجه إلى أرض المغرب وانتهى إلى الجبل الأسود الذى ليس له مصعد، فنقب فيه الحفائر ووضع فيه جميع أمواله، فمن جملة ذلك اثنتا عشرة ألف عجلة موسوقة بالجوهر، وستمائة ألف موسوقة ذهبًا وفضة، فلما مات دفن بذلك الجبل(٥).

وتولى من بعده ابنه فرسون، وكان عالمًا فاضلاً بالسحر والكهانة، عمل منارة على بحر القلزم، الذى هو بحر الحجاز، وجعل فوقها مرآة من أخلاط شتى تجذب المراكب إلى البحر ولا تبرح حتى يؤخذ منها العشر، واستمر حتى هلك(٦).

(١) نهاية الأرب ج ١٥ ص ٤٩ - ٥٠، الخطط ج ١ ص ١٣٧.
(٢) جواهر البحور، ورقة ٩.
(٣) جواهر البحور، ورقة ٩.
(٤) النويرى ج١٥ ص٦١ - ٦٣، الخطط ج١ ص١٣٧.
(٥) نهاية الأرب ج ١٥ ص ٦٣، الخطط ج ١ ص ١٣٧.
(٦) جواهر البحور، ورقة ١١.

وتولى من بعده ابنتـه نونية الكاهنة، وكـانت ساحرة مـاهرة فى علم السحر، فـأقامت مدة[١].

ثم وثب عليها أخوها مـرتونس وكان عالمًا فاضلا بالسـحر والكهانة، وهو الذى عمل آنية إذا ملئت ماءً يصير خمـرًا، وقد وجدت فى بعض الكنوز بمدينة إطفيح فى أيام هارون ابن خمارويه بن أحمد بن طولون، ثم هلك[٢].

وتولى من بعـده ابنه صا [وهو الذى بنى مـدينة صا] وبه سمـيت، وهى الآن خراب على شاطئ بحر النيل، وكان بها أسطوانة من الرخـام الأبيض وعليها مرآة من أخلاط شتى وكان ينظر فيها جـميع ما يحدث من الحوادث فى الأقاليم السبعة من خـير أو شر، واستمر فى الملك حتى هلك[٣].

وتولى من بعده ابنه تدراس، وكان عالمًا فاضلاً فى علم السحر والكهانة، وبلغ خراج مصر فى أيامه ألف ألف وخمسين ألف دينار، واستمر فى الملك حتى هلك[٤].

ثم تولى من بعده ولده ماليق، وكان عالمًا فاضلاً فى علم السحر والكهانة، وكان كثير الغزوات فتوجه إلى مدائن البربر وأخربها وأسـر أهلها، وكان بالبربر مدينة عظيمة يقال لها: قرميـدة، وكان بها ملكة سـاحرة، فلما توجه إليـها الملك ماليق وحاصـرها، ألقت عليهم أشياء مـن السحر فطمست عـيون المياه عن العـسكر، فلم يعرفوها، فـهلكوا بالعطش حتى مات منهم نحو الثلث[٥].

فلما عاين الملك ماليق ذلك ترك حصار تلك المدينة ومضى عنها.

وقيل: إن الملك ماليق لما غزا بلاد البربر رأى بهـا مدينة وبها أقوام وجوههم كوجوه الآدميين، وأرجلهم كأرجل البـقر، وعلى أبدانهم شعر مثل شعـر المعز، ولهم أنياب بارزة مثل أنياب السباع، فلما حاصرهم لم يقدر عليهم من شدة سحرهم، فتركهم ومضى[٦].

---

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٧٨.
(٢) الخطط ج ١ ص ١٣٩، ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٧٨.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٧٦ وما بين حاصرتين منه.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٧٦.
(٥) ابن إياس ج١ ق١ ص٧٦.
(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٧٧.

وقيل: إنه رأى ببلاد البربر عجائب لم يسمع بمثلها فى سائر البلاد.

قيل: إن جنس البربر أشد الأجناس، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «بعث الله سبحانه وتعالى إلى أقوام البربر نبيًا قبله فذبحوه وطبخوه وأكلوا لحمه وشربوا دمه، وهم أقسى الناس قلبًا»(١).

وقيل: رجع الملك ماليق إلى مصر فسحروا البربر مدينة مصر فكثر بها التماسيح والثعابين والعقارب والضفادع، وقد فاض النيل حتى غرقت أراض كثيرة فى غير أوانه، فلما عاين الملك ماليق ذلك لبس المسوح السود وافترش الرماد وسجد عليه، ودعا إلى الله تعالى بكشف النازلة بعد أن عجز عن تبطيل ذلك السحرة والكهنة، واستمر الملك ماليق فى الملك حتى هلك(٢).

---

(١) حديث موضوع وهو من الإسرائيليات وأخرجه صاحب الكنز برقم ٣٨٢٨٤ وعزاه لنعيم بن حماد فى الفتن وذيله بقوله: وفيه يحيى بن سعيد العطار، قال ابن حبان: يروى الموضوعات عن الأثبات، وانظر المجروحين لابن حبان ج٢ ص١٢٣.

(٢) نهاية الأرب ج ١٥ ص ٩٧.

[ذكر من ملك مصر من الفراعنة]

ثم تولى من بعده الفراعنة وهم ستة فراعنة:

أولهم: فرعون إبراهيم الخليل، عليه السلام، وهو الذى أخذ سارة، وكان اسمه طوطيس[١]، وقد تقدمت أخباره فى قصص الأنبياء، عليهم السلام.

والثانى: فرعون يوسف عليه السلام، وكان اسمه الريان بن الوليد بن أرسلاوس، وكان وزيره يسمى قطفير، وهو الذى اشترى يوسف، عليه السلام[٢].

وكان الريان حسن السيرة عادلاً فى الرعية، وكان قد حصل فى أيامه غلاء عظيم حتى أنه أسقط عن مزارعى مصر ثلاث سنين[٣] حتى يتقوّوا فى السنين الماحلة.

وكان خراج مصر فى أيامه مائة ألف ألف دينار فى كل سنة[٤].

وهو الذى بنى مدينة العريش، وكانت من أجلِّ المدائن، وهو الذى غزا بلاد السودان وقتل خلقًا كثيرًا لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى، وكانت منهم طائفة يأكلون الناس جهارًا[٥].

ثم إنه غزا بلاد الجنوب فرأى قومًا خلقتهم كخلقة القرود ولهم أجنحة يلتفون فيها[٦].

ثم غزا أقوامًا عند البحر المظلم فرأى هناك واديًا مظلمًا فكانوا يسمعون فيه صياحًا عظيمًا، ولا يرون أشخاصًا لشدة ظلمته، وعندهم سباع سود غريبة الخلقة، وهى مخرومة الأنوف[٧].

---

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٧٩.
(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٠، ٨١.
(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٠.
(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٠.
(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٠.
(٦) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٠.
(٧) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٠.

فسار حتى وصل إلى البحر الأسود المسمى بالزفتى، فرأى هناك عقارب طائرة فخرجت على عسكره أهلكت منهم خلقًا كثيرًا لا تُعد ولا تُحصى[١].

ثم سار حتى وصل إلى مدينة سلوقة فرأى بها حية عظيمة الخلقة طولها نحو ميل، وكانت إذا رأت الفيل تهجم عليه فتبتلعه تحسبه رمة[٢].

فلما عاين الريان ذلك انتقل عن تلك المدينة بعد أن هلك من عسكره خلق كثير لا يحصون عددًا، ثم رجع إلى مصر وأقام بمدينة منف، ثم أمر بحصر عسكره فوجد أنه فقد منهم مائة ألف عسكرى، وكانت مدة غيبته فى هذه السياحة إحدى وثلاثين سنة[٣].

ثم إن الريان كان قد بنى قصر الشمع القديم، وسماه بذلك لأنهم كانوا يوقدون فيه الشمع عند انتقال الشمس من برج إلى برج، وهى تنتقل فى كل سابع عشر من الأشهر القبطية، ولم يزل القصر عامرًا إلى أن جاء بختنصّر وأخربه، وملك مصر، وأقام خرابًا نحو خمسمائة سنة، ولم يبق إلا رسومه[٤].

فلما قويت شوكة الروم على اليونان وملكوا مصر جددوا بناء ذلك القصر، وكان اسم الملك الذى جدده مقراطيس، وجعله بيتًا لعبادة النيران، وكان هذا القصر مطلاً على بحر النيل.

ثم إن الملك الريان كان مؤمنًا، آمن على يد يعقوب، عليه السلام، لما دخل إلى مصر، وكان يكتم إيمانه خوفًا من فساد مملكته[٥].

وفى أيامه بنى يوسف، عليه السلام، مدينة الفيوم، وقيل: إنها بنيت بالوحى إلى يوسف، عليه السلام، بلسان جبريل، وكانت أرضها مغايض الماء، فدبر الحيلة يوسف فى أرضها حتى خرج عنها الماء، ثم عمرها فى مدة يسيرة، فلما فرغ من بنائها ركب الريان إليها وصار ينظر ويتعجب من سرعة بنائها[٦].

---

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٠.
(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٠.
(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٠.
(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٠ - ٨١.
(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨١.
(٦) نهاية الأرب ج ١٥ ص ١٢٧، الخطط ج ١ ص ٢٤١، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٨١.

وكانت مدة البنيـان ألف يوم، ولأجل ذلك سميت الفيوم، وكانت عـدة قراها ثلاثمائة وستين قرية، على عدد أيام السنة، لتكون كل قرية تغل على أهل مصر يومًا[١].

ولما مات الريـان استخلف بعده ابنه دارم، وهو الفـرعون الثالث، وكان جـبارًا عنيدًا مولعًـا بشرب الخمـر وحب النساء الحسـان، فنزل يومًا من الأيام إلى مـركب من المراكب رركب فيهـا إلى بحر حلوان، نسارت إليه الرياح فـغرق وهو سكران، ثم طلعوا به ردفنوه بأرض منف[٢].

وأما فرعون الرابع فكان اسـمه عند القبط دريموس، وكان ساحرًا عظيـمًا، وله أعمال عجيبة، منها: أنه عمل صنمًا من رخام أخضر وألبسه الحرير الأخضر واتخذ له عيدًا، كلما دخل القمر إلى برج السرطان يكون عيده[٣].

وعمل تنّورًا يشوى فيه من غير نار، وعمل سكينًا منصـوبة تأتى إليها البهائم فتذبح بها أرواحهم من غـير يد، وعمل نارًا تـستحيـل هواءً، وعمل ماء يسـتحيل هواءً، وعـمل ماءً يستحيل نارًا، وعمل أشياء كثيرة من الأنواع العجيبة من باب علم النارنجيّات[٤].

وأما الفـرعون الخامس وهـو الذى يقال له: ميـلاطيس الفرعونى، صـاحب الصنائع العجيبة، والأفعال الغريبة، التى لم يعـمل مثلها، وهو ابن دريموس، كان عالمًا فاضلاً وله أعمال غريبـة، منها أنه عمل ميزانًا بكفتين من ذهب مـعلقة فى هيكل الشمس على إحدى كفتـيه حق والأخرى باطل، وجعل تحـتها فصـوصًا ونقش عليها اسم الكواكـب، فيدخل الظالم والمظلوم ويأخذ كل واحد منهـما فصًا من جملة الفصوص ويـسمى عليه ما يريده، ويجعل كلاً منهما فى كفة فتثقل كفة الظالم وتخف كفة المظلوم.

فلما دخل بختنصّر إلى مصر أخذ هذا الميـزان وحمله إلى بابل مع جملة ما حمل معه من مصر.

وأما الفـرعون السادس فـهو فرعـون موسى، عليه السـلام، وكان اسمـه: الوليد بن

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨١.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٨١، ٨٢.
(٣) نهاية الأرب ج ١٥ ص ١٢٧.
(٤) هو أخذ كالسحر وليس به، إنما هو تشبيه وتلبيس.

مصعب، وأصله من مدينة بلخ، وقيل: من ضياع الشام، وكان عطارًا، ثم تجمد عليه ديون فخرج هاربًا حتى وصل إلى مصر[١].

وصفته: أعور بعينيه اليسرى، طويل اللحية طولها سبعة أشبار، قصير القامة أعرج، وله أخبار كثيرة فى قصته المشهورة[٢].

ثم إنه لم يزل قائمًا بملك مصر عادلاً فى رعيته حسن السيرة محبوبًا للناس حتى هلك فى أيامه ثلاثة قرون من العالم وهو باق، فعند ذلك طغى وتجبر وادعى الربوبية من دون[٣] الله وقال: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾ (سورة النازعات: ٢٤).

قال وهب بن منبه: عاش فرعو أربعمائة سنة منفردًا بملك مصر، لم ير فى طول هذه المدة ألمًا ولا رمدًا، ولا وجعًا ولا حمى، ولا مكروهًا يومًا من الأيام، حتى أخذه الله نكال الآخرة والأولى[٤].

قال المهدوى فى «تفسيره»: لما تلا فرعون قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ (سورة الزخرف: ٥١) قيل: كانت أراضى مصر من رشيد إلى أسوان مشتبكة بالأشجار والأنهار من سائر المحاسن، حتى أن الشمس كانت لا تصل إلى الأرض من كثرة الأشجار، وبها سبعة خلجان: خليج الإسكندرية، وخليج سخا، وخليج دمياط، وخليج سردوس، وخليج منف، وخليج الفيوم، وخليج المنهى[٥].

وكانت الأنهار تجرى فيها صيفًا وشتاءً من كثرة إصلاح القناطر والجسور. وقد قال الله تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ (سورة الدخان: ٢٥، ٢٦) قال المهدوى فى تفسير المقام الكريم: الفيوم، قيل: كان فيه ألف منبر من الذهب برسم الوزراء يجلسون عليها. وكانت أراضى مصر تروى من ستة عشر ذراعًا أعاليها وأسافلها.

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٢.
(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٢.
(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٥.
(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٥.
(٥) خطط المقريزى ج ١ ص ٢٣، الفضائل الباهرة ص ١٧٧.

كان بمصر قصور مطلة على بحر النيل متصلة من رشيد إلى أسوان[١] . وقال الله تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (سورة الأعراف ١٣٧).

قال إبراهيم بن وصيف شاه: كان خراج مصر فى زمن فرعون فى كل سنة اثنين وسبعين ألف ألف دينار، يأخذ من ذلك فرعون الربع لنفسه، والربع الثانى لوزرائه، والربع الثالث يدخره بسبب الشراقى فى السنين المجدبة، والربع الرابع يصرفه فى حفر الخلجان وعمارة القناطر والجسور وسد الترع[٢].

وقال ابن لهيعة: كانت لأراضى مصر فى كل سنة مائة وعشرون ألف إنسان، بسبب قلع القضاب وتنظيف الخلجان، وكل نبات يضر بالأرض، ويصرف لهم معاليم ورواتب[٣].

وكان له قائدان يرسلهما أيام التخضير ومعهما إردب قمح، فيتوجهان بذلك الإردب القمح إلى جهة أعلى الصعيد وإلى جهة الوجه البحرى، فكل من رأى قطعة أرض بور فى إحدى الجهتين فيكتب إلى فرعون بذلك فيرسل يأمر بصلب عامل تلك الأرض التى وجد بها القطعة الطين البور[٤].

وربما عاد القائدان ومعهما الإردب القمح، فلأجل ذلك كانت مصر عامرة بسبب ذلك[٥].

ولم يزل خراج مصر اثنين وسبعين ألف ألف دينار فى كل سنة حتى هلك حين خرج فى طلب موسى عليه السلام، وغرق فى بحر السويس فى بركة الغرندل[٦]، هو وقومه حتى لم يبق غير العبيد والأجراء والنساء.

وكانت المرأة تعتق عبدها وتتزوج به، والأخرى تتزوج بأجيرها، وكانوا يشرطون

---

(١) لدى المقريزى فى الخطط ج ١ ص ٢٣: «كانت الجنات بحافتى النيل من أوله إلى آخره من الجانبين ما بين أسوان إلى رشيد».

(٢) الخطط ج ١ ص ٧٥.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٨٤.

(٤) الخطط ج ١ ص ٧٤، ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٤.

(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٤.

(٦) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٥.

عليهم أن لا يفعلوا شيئًا إلا بإذنهن، وصارت هذه عادة فى القبط لا يبيع أحدهم ولا يشترى إلا بإذن زوجته[١].

ثم إن النساء اجتمعن واتفقن على أن يولين امرأة تسمى دَلُوكة، ذات عقل ومعرفة، وكان عمرها مائة وستين سنة، فلما ولوها عليهم وحكمت مصر بنت حائطًا من أسوان إلى العريش، وحاشت بها قرى مصر وضياعها ببناء الحائط، وجعلت على تلك الحائط حراسًا وأجراسًا من نحاس فى كل ناحية، حتى إذا أتى مصر عدو ورآه الحراس حركوا الأجراس، فيسمعهم أهل مصر فيستعدون لقتالهم[٢].

وآثار هذا الحائط باق إلى الآن بأعلى بلاد الصعيد، ويسمى حائط العجوز[٣].

وكانت مدة إقامتها فى ملك مصر مائة وثلاثين سنة ثم هلكت.

(١) فتوح مصر ص ٤٨ – ٤٩، الخطط ج ١ ص ٣٩، ابن إياس ج ١ ق١ ص ٨٥.
(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٦.
(٣) نهاية الأرب ج ١٥ ص ١٣٨، الفضائل الباهرة ص ١٧، ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٦

[ابتداء دولة الاقباط بمصر]

وتولى بعـدها شخص من أولاد الـقبط يسـمى دركون بـن بكطوش، أقام مـدة طويلة وهلك[١].

ثم تولى من بعده شخص يقـال له مرينوس، أقام مدة طويلة، وفى أيامه جـاء بختنصر إلى مصر فأخرب مدنها وقراها، ونهب أموالها وقتل رجالها وسبى نساءها[٢].

وقيل: إنه قتل من بنى إسـرائيل سبعين ألفًـا وأسر سبعين ألفًـا، ومن جملة من أسره دانيال، عليـه السلام، وأرميا، ثم توجـه بهما إلى أرض بابل التى هى محل ولايتـه، فلما أخرب مصر وحل عنهما صارت خرابًا أربعين سنة ليس بها ساكن أو متحرك[٣].

وكان النيل إذا زاد ينفرش على الأرض ثم يهبط ولا يجد أحدًا يزرع الأرض[٤].

ثم بعد ذلك ردوا أهل مصر إليها وعمروها كما كانت.

وكانوا مـختلطين ما بين عـمالقة وقبط ويونان، ولكـن أكثرهم قبط، وأكـثر من ملك مصر الغرباء.

وكـان من عادة ملوك القـبط أول يوم النَّوْروز[٥] ـ وهو يوم العـام الجديد ـ أن يفـتح الملك حواصله ويحضر جميع ما فيها من الملبوس والفرش فيفرقه على الجند، ثم يقول: ليس من أخـلاق الملوك أن يدخـروا كـسوة الصـيف إلى الشـتـاء مثل العـوام، ثم تجـدد غيرها[٦].

(١) الخطط ج ١ ص ٣٩، الفضائل اباهرة ص ١٧، ابن ج ١ ق ١ ص ٨٦.
(٢) الفضائل الباهرة ص ١٧، ابن إياس ج١ ق١ ص٨٨.
(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٨.
(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٩.
(٥) النوروز، أو النيروز (بالفارسـية) اليوم الجديد، وهو أول يوم من السنة الشمسـية الإيرانية، ويوافق اليوم الحادى والعشرين من شهر ..رس من السنة الميلادية وعيد النوروز، أو النيروز: أكبر الأعياد القومية للفرس.
(٦) قريب منه ما ورد فى السكردان ص ١٥٩.

ثم لا زالت القبط يتولون ملك مصر واحدًا بعد واحد حتى كان آخرهم الملك المقوقس، وكان اسمه جريج بن مينا[١]، أدرك نبوة رسول الله ﷺ.

فلما كانت سنة ست من الهجرة بعث رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة ومعه كتاب من رسول الله ﷺ يدعوه فيه إلى الإسلام.

فلما دخل حاطب مصر وجد المقوقس بثغر الإسكندرية فتوجه إليه، وكان من دأبه يصيف بمصر ويشتى بالإسكندرية[٢]، فلما دخل عليه ناوله الكتاب، فلما أخذه قبَّله ووضعه على رأسه ثم قرأه وعلم ما فيه، وقال لحاطب. نعلم أنه نبى مرسل، أخبرنا المسيح بذلك.

[ذكر الهدية التى بعث بها المقوقس إلى رسول الله ﷺ]

ثم إنه أرسل مع حاطب هدية عظيمة وهى ألف مثقال من الذهب، ،عشرون ثوبًا من بياض مصر، وجارية تسمى مارية، وأخرى تسمى سيرين، وغلام خصى يسمى مأبور، وبغلة تسمى الدلدل، وحمار يسمى عُفَيْر - وقيل: يعفور، وعسل نحل من عسل بنها[٣].

وأكرم حاطب غاية الإكرام، وبعثه بتلك الهدية، فلما وصل حاطب بالهدية قبلها منه [رسول الله ﷺ] واستسلم مارية فأسلمت على يديه، ووهب أختها سيرين إلى حسان بن ثابت[٤].

وكانت البغلة والحمار أحب إليه من سائر دوابه، فلما أكل من العسل أعجبه فسأله من أين هذا العسل؟ فقال له: من بنها، من قرى مصر، فقال: اللهم بارك فى بنها وفى عسلها[٥].

---

(١) ابن عبد الحكم ص ٨٦ حاشية (٢).
(٢) تحفة الناظرين ص ٣٦.
(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٩١.
(٤) أسد الغابة ج ٧ ص ١٦٠.
(٥) لم أهتد إلى تخريجه فيما يدى من مصادر الحديث، وأشار إليه السيوطى فى حسن المحاضرة ج ١ ص ١٤ بقوله: «مرسل حسن الإسناد».

فكان الخصـى يخدمه حـتى مات، وكانت الـثياب البـيض عنده حتى مـات وكفن فى بعضها.

ولما دخل على مارية حملت منه بإبراهيم، فعاش ثمـانية عشر شهـراً ومات، ثم قال ﷺ : «لو عاش إبراهيم لوضعت الجزية عن كل قبطى»[١].

وقال ﷺ : «ستفتـحون بعدى أرضًا يُذكر فيها الـقيراط، فإذا فتحتموهـا فاستوصوا بأهل مصر خيراً، فإن لهم نسبًا وصهراً»[٢]. وفى رواية: «ذمة وصهراً».

قال ابن شهاب: عنى بالنسب هاجر أم إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليه السلام، فإن أصلها من مصر[٣]. انتهى ذلك.

---

(١) الحديث متروك وأورده السيوطى فى الجامع الصغير ج ٢ ص ١٣٠ ورمز له بالضعف.

(٢) رواه مسلم فى صحيحـه مع زيادة فى اللفظ، كتاب فضائل الصـحابة اب وصية النبى ﷺ بأهل مصر ج ٤ ص ١٩٧٠.

(٣) فتوح مصر ص ١٩ - ٢٠.

[ابتداء دولة الإسلام وفتح مصر على يد عمرو بن العاص]

ثم إن المقوقس استمر حاكما بمصر إحدى وثلاثين سنة حتى فتح عمرو بن العاص ﷺ الديار المصرية فى سنة عشرين من الهجرة النبوية، فى يوم الجمعة مستهل شهر المحرم سنة عشرين من الهجرة النبوية، فى خلافة عمر بن الخطاب ﷺ(١).

قال الكندى: أرسل عمر بن الخطاب لما كان خليفة جيشًا إلى مصر حاصرها ثلاثة أشهر، وكان المقوقس بقصر الشمع على بحر النيل، وكانت السفن تجرى تحته، فلما أشرف عليهم المقوقس من قصره ورأى العرب أشرفوا على أخذ المدينة، نزل المقوقس فى مركب كانت راسية على باب قصره، ثم توجه هاربًا إلى نحو إسكندرية، وكان يعلم أن العرب لا بد لهم أن يملكوا مصر(٢).

قال المسعودى: كان فى الكنيسة التى داخل مصر المسماة الآن بالمعلقة صنم من نحاس أصفر راكب على جمل من نحاس أصفر، وهو فى زىّ العرب، وعلى رأسه عمامة، وفى رجليه نعلان من جلد، وكانت القبط والروم إذا اعتدى أحد على أحد وتظالموا فى شىء بينهم يحضرون إلى عند ذلك الصنم يقفون بين يديه، ويقول المظلوم للصنم: هذا ظلمنى، إذا لم تنصفنى منه قبل أن يجىء هذا الرجل العربى فيأخذ حقى منك، رضيت أو لم ترض، يعنون عمرو بن العاص ﷺ(٣).

وكان بالإسكندرية باب مغلق عليه أربعة وعشرون قفلا، عزم على فتحه المقوقس فمنعوه القساوسة والرهبان، ثم قالوا له: من تقدم من الملوك لم يفتح هذا الباب ويضع كل واحد عليه قفلا، وأنت الآخر اجعل لك عليه قفلا ونحن نعطيك ما خطر لك من المال الذى ظننت أنه فيه، فامتنع وفتحه(٤).

---

(١) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٢٩.
(٢) أورده صاحب تحفة الناظرين بنصه ٣٦.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٠٥ - ١٠٦.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٠٦.

ودخل فيه فلم يجد فيه شيئًا من المال، لكن رأى منقوشًا على حيطانه تصاوير العرب راكبين على خيول، وعلى رءوسهم عمائم وسيوف مقلدين بها، وكتابة فى صدر المكان: تملك العرب المدينة فى هذه السنة(١).

وكان كل من ملك مدينة الإسكندرية من ملوك القبط يجعل له قفلاً على ذلك الباب ولا يفتحه، فتلك الأقفال بعدد من ملك الإسكندرية من ملوك القبط.

قال(٢) الكندى: لما أبطأ خبر مصر على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كتب كتابًا إلى عمرو بن العاص يقول له فيه: إنى قد وجهتك إلى مصر وأرسلت معك جيشًا كل واحد منهم مقوم(٣) بمائة فارس، فإذا وصلك كتابى هذا فاجمعهم واخطب لهم وحثهم على القتال ورغبهم فيه، وابرز للقتال عند غروب الشمس يوم الجمعة فإنها ساعة إجابة.

فلما أتى كتاب أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص جمع المؤمنين وقرأ عليهم الكتاب يوم الجمعة مستهل المحرم الحرام سنة عشرين من الهجرة النبوية، فعند ذلك برز للقتال وفتح الله بالنصر يوم الجمعة، وفتحت على يد عمرو بن العاص.

ثم أرسل كتابًا مع معاوية بن حُدَيْج إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يبشره بفتح مصر(٤)، فوصل معاوية بن حديج بالكتاب إلى المدينة الشريفة وقت الظهر، فنادى عمر فى المدينة: الصلاة جامعة، وجمع الناس وصلى بهم شكرًا لله تعالى، وصلى بهم أيضًا صلاة الغيبة، على من مات من المؤمنين فى المعركة، وكان عدتهم اثنين وعشرين رجلاً، كل رجل منهم مقوم بمائة فارس.

ثم قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا فُتحت عليكم بعدى مصر فاتخذوا فيها جندًا كثيفًا، فذلك الجند خير أجناد الأرض» قيل: ولم ذلك يا رسول الله؟ قال: «لأنهم فى رباط إلى يوم القيامة»(٥).

(١) أورده صاحب تحفة الناظرين بنصه ص ٣٦ - ٣٧.
(٢) هذا القول لدى ابن عبد الحكم ص ٨٢.
(٣) رواية ابن عبد الحكم: «مقام الألف» ومثلها فى الخطط ج ١ ص ٢٨٩.
(٤) ابن عبد الحكم ص ١٠٥.
(٥) أورده صاحب الكنز برقم ٣٨٢٦٢ من رواية عمر بن الخطاب.

وقال رسول الله ﷺ: «مـصر كنانة الله فى أرضه، ما كاد أهلَها أحـدٌ إلا كفاهم الله مئونته»[(١)].

وقال ابن المتوج: لما فتح عمرو بن العاص مصر واستقر بها، قصد التوجه إلى مدينة الإسكندرية فتوجـه إليها وبمن معه من الفرسـان، فلما وصل إليها حاصرهـا أشد حصار، حتى أشرفوا على أخذها، فلما رأى المقـوقس أنهم أشرفوا على أخذها أرسل إليهم يسألهم فى الصلح وأن يجعل لهم عليه الجزية[(٢)].

ثم أتى إلى عـــمـرو بن العـاص رجل يقـــال له: ابن بَسَّـامـة، كـان بـوَّابًا على باب الإسكندرية، فقال: أتؤمننى على نفـسى وعيالى وأنا أفتح لك الباب؟ فـأجاب عمرو: لك ذلك.

ففـتح له الباب فـدخل عمـرو بن العاص ومن مـعه من المسـلمين فملـكوها وأسروا المقوقس[(٣)].

فكتب الأمير عمرو بن العاص يبشر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بذلك ويقول: إنى قد فتحت مصر بمعونة الله تعالى، وإنـى لا أقدر أن أصف لك ما وجدته فيها، لكن أصفه لك باختـصار: وجدت فيـها أربعة آلاف دار، وأربعـة آلاف حمام، واثنى عشـر ألف بقال يبيـعون البـقل بعد العـصر فى جـوانب المدينة، وبهـا مائة ألف مركب مـن مراكب الروم الكبار، وستمـائة ألف يهودى، وقـد هرب أكثرهـم إلى بلاد الروم من البحـر، وأوجبت الجزية عـلى من بقى من الرجال ـ غـير النساء والصـبيـان ـ على كل رجل دينارين فى كل سنة، لكن الذى لم يهرب وتأخر عن الهروب خمسون ألف رجل.

فكتب أمـير المـؤمنين عـمر بـن الخطاب الجواب عن ذلـك، وأرسله إلى عمـرو بن العاص: إن من دخل فى يدك من القبط والروم فخيـره بين الإسلام ودينه، فإن أسلم فهو من جملة المسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم، وإن لم يسلم فعليه الجزية كما فعلت.

---

(١) أورده ابن زولاق فى فضائل مصر ص ٦، والنويرى ج ١ ص ٣٤٦.

(٢) تحفة الناظرين ص ٣٧.

(٣) فتوح مصر ص ٨٠، تحفة الناظرين ص ٣٨.

ثم كتب له تقليداً بولايـة مصر وأرسله على يد معاوية بن حُـدَيْج فى سنة عشرين من الهجرة النبوية.

ثم تولى عمـرو بن العاص مصر، واسـتمر المقوقس بـالإسكندرية بطالا يعطى الجزية عن نفسه وعن أولاده حتى مات فى زمن عمرو بن العاص، وهو آخر ملوك القبط(١).

وكان فـتح الإسكندرية يوم الجمعـة بعد العصر أول جـمادى الآخرة سنة عـشرين من الهجرة النبوية، وقيل: سنة اثنتين وعشرين(٢).

ثم بعد ذلك جاءت الروم إلى قسطنطين بـن هرقل، وقالوا له: كيف نترك الإسكندرية للعرب وهى مدينتنا الكبرى؟ فتوجه قسطنطـين فى ألف مركب مشحونة بالرجال المقاتلين، فلما وصل قريبًا منها بعث الله عليه ريحًا عاصفًا فغرقت تلك المراكب جميعها بمن فيها.

وأما قـسطنطين المذكـور، فإنه سلم وطلع إلى بلد تسـمى سقليـة، فسـألوه عن أمره فأخبرهم بما وقع له من الريح المغرق وهلاك العساكر الذين كانوا معه، فلما سمعوا مقالته قالوا له: قـد أفنيت ما بقى من عـسكر الروم وجئت إلينا! فـاجتمـعوا وقـتلوه، وكفى الله المؤمنين القتال(٣).

[فتح دمياط]

وأما فتح دميـاط، فإنه كان فى سنة إحدى وعشرين من الهـجرة، على يد المقداد بن الأسود ﵁، وكـان بها ملك يقـال له: الهاموك من ملوك القـبط، وهو خال المـقوقس صاحب مـصر، وكان للهـاموك ولد يسمى شطا، قـيل: إنه كان نائمًا ليـلة من الليالى وهو ينظر النبى ﷺ، فأسلم على يديه ﷺ، فاستيـقظ من نومه وتوجه إلى المسلمين ليلاً وأخبرهم بمنامه وإسلامه، ثم دلهم على مسالك الـمدينة فدخلوها ليلاً واستولوا عليها، ثم وقع بينهم قتـال عظيم، وقاتل معـهم شطا ابن الملك حتى قُتل فى المـعركة ليلة الجمـعة

(١) الأخبار بطولها لدى ابن عبد الحكم ص ٨٠ وما بعدها.
(٢) أورده بنصه صاحب تحفة الناظرين ص ٣٨.
(٣) فتوح مصر ص ١٩١؛ حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٢.

نصف شعبان سنة إحدى وعشرين من الهجرة، ثم غسل وكفن ودفن فى خارج دمياط فى المكان الذى قُتل فيه، وقبره يزار إلى الآن، رحمة الله عليه[١].

ثم إن عمرو بن العاص ﷺ رجع إلى مصر وأراد أن يبنى بها مدينة الفسطاط، وسبب تسمية الفسطاط هو أن عمرو بن العاص لما وصل إلى مصر وأراد فتحها نزل بمن معه من العرب فى الفضاء، ونصب له خيمة تسمى الفسطاط، فلما قصد التوجه إلى الإسكندرية أمر بإزالة تلك الخيمة، فوجدوا فيها عشا فيه يمامة قد أفرخت[٢] فيه، فترك الخيمة لأجلها احترامًا لتلك اليمامة، وشفقة على فراخها، ثم توجه إلى الإسكندرية ففتحها ورجع إلى مصر فقيل له: تنزل فى أى مكان؟ قال: مكان الخيمة التى تركتها وعليها اليمامة، فلأجل ذلك سميت مدينة الفسطاط[٣].

صارت مدينة عظيمة بها عدة مساجد وحمامات وطواحين ومعاصر[٤].

وكان أولها من حدرة ابن قميحة وآخرها الرَّصد، ثم لم تزل عامرة ساكنة إلى دولة الفاطمية أيام الخليفة العاضد لدين الله، فخربت مصر فى أيامه واستولت عليها الفرنج، ولها قصة عظيمة مشهورة فى دولة الفاطمية[٥].

ثم إن القبط اجتمعوا وجاءوا لعمرو بن العاص ﷺ، وقالوا له: إن نيلها له سنة لم يجر إلا بها، فقال لهم: وما هى؟ قالوا له: إذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من شهور بئونة من الشهور القبطية، عمدنا إلى بنت بكر أخذناها من أبويها غصبًا أو رضًا[٦] وألبسناها الحلى والحلل، وألقيناها فى بحر النيل فى مكان معلوم.

فلما سمع عمرو بن العاص ذلك قال لهم: هذا لا يكون أبدًا فى الإسلام، فأقام أهل مصر جميع شهر بئونة وأبيب ومسرى وتوت لم يجر فيهم النيل لا قليلا ولا كثيرًا، فهمُّوا

(١) الخطط ج ١ ص ٢١٣ - ٢١٤، ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٠٧.
(٢) أفرخ الطائر: صار ذا فِراخٍ.
(٣) الخطط ج ١ ص ٢٩٦ تحفة الناظرين ص ٣٩.
(٤) تحفة الناظرين ص ٣٩.
(٥) الخطط ج ١ ص ٣٣٩، تحفة الناظرين ص ٣٩.
(٦) الرواية لدى ابن عبد الحكم وابن زولاق والمقريزى وابن ظهيرة: «أرضينا أبويها» ولم يرد فيها «الغصب».

بعد ذلك بالجلاء، فلما رأى عمرو بن العاص ذلك كتب كتابًا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وأرسله مع نجاب، فلما وصل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ كتب بطاقة وأرسلها إلى عمرو بن العاص وأمره أن يلقيها فى بحر النيل، فلما وصلت عمرو بن العاص ﷺ فتحها وقرأ ما فيها فإذا فيها مكتوب:

من عبد الله عمر بن الخطاب إلى نيل مصر المبارك، أما بعد: فإن كنت تجرى من قبلك فلا حاجة لنا بك، وإن كان الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله تعالى أن يجريك[1].

ثم إن عمرو بن العاص ألقى البطاقة فى بحر النيل قبل عيد الصليب بيوم أو بيومين، وكان قد جلا غالب أهلها بسبب عدم جريان النيل، فلما أصبحوا رأوا النيل قد زاد فى تلك الليلة المباركة ستة عشر ذراعًا دفعة واحدة، وأوفى وفاءً مباركًا، وقطع الله تلك السُّنَّة الشنيعة ببركة سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ[2].

ثم إن عمرو بن العاص لما كان بمصر جمع من كان بها من الأقباط وقال لهم: من كان عنده كنز أو يعرف عند أحد كنزًا ولم يحضره وكتمه ضرب عنقه، فقالوا له جماعة من الأقباط: إن رجلاً قبطيا[3] يقال له: بطرس عنده كنز عظيم، فحضر بين يديه فقال له: بلغنى أن عندك كنزًا من كنوز فرعون، فأنكر منه ذلك الكنز، فأمر عمر ﷺ بسجنه فسُجن، وأقام فى السجن مدة طويلة[4].

ثم إن عمرو بن العاص ﷺ قال للموكلين به: هل تسمعونه يذكر أحدًا من أصحابه؟ فقالوا له: نعم، سمعناه يذكر راهبًا فى الطور، فأرسل عمرو بن العاص إلى بطرس يطلب الخاتم الذى فى إصبعه، فأرسله إليه[5].

ثم إن عمرا أرسل الخاتم إلى ذلك الراهب، فلما وصل الخاتم إلى الراهب تحقق أمرًا

---

(١) الفضائل الباهرة ص ١٧٥.

(٢) ابن عبد الحكم ص ١٧٦، الخطط ج ١ ص ٥٨، الفضائل الباهرة ص ١٧٥.

(٣) لدى ابن عبد الحكم ص ١١١: «نَبَسَطِيًا».

(٤) فتوح مصر ص ١١١، حسن المحاضرة ج ١ ص ١٢٣.

(٥) فتوح مصر ص ١١١.

صحيحًا، فقام الراهب وأخرج من الدير حقا مختوما بالرصاص وسلمه إلى حامل الخاتم الذى حضر به إليه، فلما حضر بالحق بين يدى عمرو وفتحه فوجد فيه صحيفة مكتوبًا فيها: إن الأموال التى وجدت فى كنوز فرعون موضوعة تحت الفسقية الكبيرة التى بقصر الشمع، فحضر إلى عند الفسقية وكشفها فوجدها ملآنة بالأموال المذكورة، فإذا هو اثنان وخمسون إردبًا بالكيل[١]. هكذا نقله ابن وصيف شاه.

قال: فلما رأى عمرو ذلك أرسل إلى بطرس فأحضره وضرب عنقه بين يديه بحضرة جماعة من الأقباط، فصار كل من سمع من الأقباط ما وقع لبطرس وكان عنده كنز أحضره بين يدى عمرو بن العاص[٢].

ثم إن عمرو بن العاص لما ابتدأ بنيان جامعه الكبير الذى بمصر القديمة، وقف على وضع قبلته ثمانون[٣] رجلا من الصحابة ﷺ، وهو أول جامع بنى فى الإسلام بمصر المحروسة، وهو جامع مبارك يُستجاب فيه الدعاء[٤].

ثم إن عمرو بن العاص سأل المقوقس وقال له: إنك قد وليت مصر إحدى ثلاثين سنة، فبماذا تكون عمارتها؟ أى عمارة أرضها فقال المقوقس: إنى رأيت الذى يقوم بعمارة مصر حفر الخلجان وإصلاح جسورها وسد ترعها ولا يؤخذ خراجها إلا من غلالها، وتحجر على عمالها من المطل، وتمنعهم من الرُّشا ويرفع عن أهلها أخذ الهدايا والمعاون[٥] ليكون قوة لهم على وزن الخراج عنهم[٦].

قال ابن عبد الحكم: كان بمصر فى زمن الأقباط أربعمائة ألف ألف محراث يحرثون الأرض، ومائة ألف ألف وأربعة وعشرون ألف مزارع، منهم سبعون ألفًا لبلاد الصعيد

(١) فتوح مصر ص ١١١، حسن المحاضرة ج ١ ص ١٢٤.
(٢) فتوح مصر ص ١١١، حسن المحاضرة ج ١ ص ١٢٤.
(٣) فى الأصل سبعون والمثبت رواية فضائل مصر المحروسة وحسن المحاضرة.
(٤) تحفة الناظرين ص ٣٩.
(٥) المعاون: جمع معونة وهى العون والإعانة، وقد أطلقت فى سنة ٢٥٠ هـ وما بعدها على الأموال الهلالية (أى غير الخراجية) كالضرائب التى كانت تفرض على الكلأ الذى ترعاه البهائم، وتسمى المراعى، وعلى صيد البحر، وتسمى المصايد، كما كان يطلق على هذه الأموال اسم المرافق.
(٦) فتوح مصر ١٨٨، فضائل مصر المحروسة ص ٣٨، فضائل مصر لابن زولاق ص ٩٣، الفضائل الباهرة ص ١٢٣.

والباقى ببلاد بحرى[١]، ثم حررت مساحة أراضى مصر بعد أن تلاشى أمرها بالنسبة إلى زمن فرعون، فكانت مساحتها مائة ألف ألف فدان تزرع غير البور[٢].

قال المسبحى: وكان بمصر فى الزمن الأول مائة وخمسون كورة فى كل كورة مدينة وثلاثمائة وستون قرية، فلما ملكها بختنصر أخربها، ثم أعيدت بعد ذلك، وصار بها خمس وثمانون كورة، ثم إنها تناقصت حتى صارت فى دولة عمرو بن العاص أربعين كورة، وعدة قراها ألفان وثلاثمائة وخمس وتسعون قرية دون الكفور[٣].

وصار خراجها فى زمن عمرو بن العاص اثنى عشر ألف ألف دينار، ثم تغيرت أحوال مصر فى دولة الإسلام إلى الغاية، وخرب غالب قراها، وانحط خراجها واستمرت تتناقص إلى الآن[٤].

(١) مثل هذا التعبير كان شائعا فى عصر المؤلف، ولدى ابن زولاق ص ٧٥: «وخمسون ألفا لأسفل الأرض» ولدى ابن ظهيرة ص ١٢٥: «وخمسون ألفا للوجه البحرى».

(٢) اختلفت المصادر فى إيرادها لهذه الأرقام فاكتفينا بما ورد فى الأصل، وكل ما ورد هنا وفى المصادر من أرقام لا يقبله العقل - وهى أرقام تسودها المبالغة، وانظر ابن زولاق ص ٧٥ وتحفة الناظرين ص ٣٩ - ٤٠.

(٣) تحفة الناظرين ص ٤٠.

(٤) تحفة الناظرين ص ٤٠.

[ذكر ولاة مصر من قبل الخلفاء الراشدين والأمويين]

ثم إن عمرو بن العاص أقام على ولاية مصر حتى توفى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، وتولى من بعده الإمام عثمان بن عفان ﷺ، فعزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر، وولى عبد الله بن أبى السَّرْح(١).

فكانت مدة ولاية عمرو بن العاص على مصر فى هذه المدة ست سنين إلا شهرًا، ثم عاد إلى ولاية مصر ثانيًا، كما سيأتى ذكره فى موضعه.

قال الكندى: إن عبد الله بن أبى السرح أخا عثمان بن عفان من الرضاعة، لما تولى على مصر رحل عنها عمرو بن العاص إلى المدينة الشريفة، واستقر بها عبد الله بن أبى السرح فجبى خراج مصر فى تلك السنة أربعة عشر ألف ألف دينار، فلما وصل خراج مصر إلى المدينة الشريفة إلى الإمام عثمان نظر إلى عمرو بن العاص وقال له: لقد درت اللقحة(٢) بعدك يا عمرو، فقال له: نعم، ولكن أجاعت أولادها، فإن هذه الزيادة التى أخذها عبد الله بن أبى السرح إنما هى على الجماجم، فإنه أخذ من كل رأس دينارًا خارجًا عن الخراج، وحصل لأهل مصر بسبب ذلك الضرر الشامل، وهذه أول شدة نزلت بأهل مصر فى مبدإ الإسلام(٣).

وأقام عبد الله بن أبى السرح على ولاية مصر إلى أن مات فى سنة ست وثلاثين من الهجرة، قيل: إنه مات بفلسطين ودفن فيها، وكانت مدة ولايته على مصر اثنتى عشرة سنة، قيل: إنه تولى على مصر سنة خمس وعشرين من الهجرة، وتوفى فى سنة ست وثلاثين(٤).

---

(١) الفضائل الباهرة ص ٢٥، تحفة الناظرين ص ٤٠ وانظر الإصابة ح ٤ ص ٦٥٣ وعبارة الفضائل الباهرة: «ولم يزل عمرو مقيما على مصر أكثر أيام أمير المؤمنين، وقبل موته بشهر عزله عن الصعيد وولىّ عبد الله بن أبى السرح، وبقى على مصر بقية أيام عمر».

(٢) اللقحة: الناقة الحلوب.

(٣) تحفة الناظرين ص ٤١.

(٤) ابن ظهيرة ص ٣٠.

ثم تولى من بعده الأمـير قيس بن سـعد بن عبـادة الخزرجى الأنصارى فى صـفر سنة ست وثلاثين من الهجرة[١]، وكان من الصحابة أقام على ولايته حتى مات ودفن بها.

ثم تولى من بعده الأمير مالك بن الحارث النخعى الأشتر، كان من الصحابة، واستمر متوليًا بمصر حتى مات ودفن بهـا فى ولاية على رضي الله عنه، وقيل: إنه مات مسمومًا فبلغ ذلك عليًا فحزن عليه حزنًا شديدًا ثم قال: لقد كان لى كما كنت لرسول الله ﷺ[٢].

ثم تولى من بعـده الأميـر محـمد بن أبى بكر الصـديق رضي الله عنه فى زمن معـاوية بن أبى سفيان فى سنة سبع وثلاثين[٣] من الهجرة، أقام بمصر حتى قُتل، وكان سبب قتله أنه كان من جملة من اجتمع على الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلما توفى ثارت عليه الشيعة بسبب ثأر الإمام عـثمان، ومن جملتـهم: معاوية بن حُـديج، ومسلمة بن مُـخَلَّد، وبسر بن أبى أرطاة، وغيرهم من الشيعـة الذين كانوا بالشام وجاءوا إلى مصر، فلما سمع الأمـير محمد بن أبى بكر بوصولهم خرج إليهم يقاتلهم، فقاتلهم قتـالاً عظيمًا، وكان صغير السن شجاعًا بطلاً[٤].

وكان معـه أخوه عبد الـرحمن فلانا ألا يقاتلا أهل الشـيعة حتى غلبـا فافترقـا وتفرق العـساكـر الذين كانوا مـعهـمـا، فانكسـر الأميـر محـمد وهـرب واختـفى منهم فى بعض الخرابات[٥].

فرأته عجـوز فى خربة مختفيًـا، فقالت لهم العجوز: إذا دللتـكم عليه تعطونى الأمان لأخى؟ فقالوا لها: نعم، أعطيناك الأمان ولأخيك[٦].

وكان أخـوها يبـيع الفجل فى مـدينة الفسطاط، قـال: فدلتـهم العجـوز على الأمـير محمد[٧].

---

(١) لدي الكندى فى الولاة ص ٤٤: «فدخلها مستـهل شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين» ومثله لدى ابن ظهيرة ص ٣٠.
(٢) الولاة ص ٤٧ - ٤٨.
(٣) فى الأصل: «فى زمن معاوية فى سنة ثمان وثلاثين» والمثبت لدى الكندى فى الولاة ص ٣٠.
(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١١٥.
(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١١٥.
(٦) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١١٥.
(٧) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١١٥.

فدخلوا عليه فوجـدوه نائمًا على وجهه هالكًا من العطش، فقـال لهم: اسقونى شربة ماء، فقالوا له: لا سقى الله من سقاك ـ والقـائل له معاوية بن حديج ـ ثم قال له: أنسيت منعك الماء لعثمان بن عفان وهو محـاصر فى الدار؟ فقال: أكرمونى لأجل أبى بكر، فقال معاوية: لا أكـرمنى الله إن أكرمتك، أنسيت ما فعـلت يوم قتلة عثمان بن عفـان؟ فلا أمان لك عندنا[١].

ثم تقدم إليـه معـاوية بن حديج وضرب عنـقه بالسيف، ثم جـره برجله وطاف به فى المدينة، ثم أدخل جـثته فى جوف حمـار ميت ثم أحرقه حـتى صار فحمًـا أسود، وكانت قتلتـه فى رابع عشر صـفر سنة ثمان وثلاثـين من الهجرة، وكـانت مدة ولايته على مـصر خمسة أشهر، وكان له من العمر حين قتل ثمان وعشرون سنة[٢].

وكان مولده فى عام حجة الوداع، وتوفى أبو بكر وله من العمر نحو سنتين ونصف.

قيل: لمـا قُتل الأمير مـحمد بن أبى بكر أخذ رأسـه وجثته خـادم الزمام، ودفن ذلك خارج مـدينة الفسطاط وبنى له مـسجـدًا يسمى مـسجد الزمـام، يزوره الناس وهو باقٍ إلى الآن[٣].

قال الكندى: لما قـتل الأمير محمد بن أبـى بكر أخذ معاوية بن حديج قمـيصه الذى قتل فيه وهو ملطخ بدمه، فأرسله إلى المدينة الشريفة إلى دار الإمام عثمان بن عفان، فلما وصل القميص اجتمعوا عصبة عثمان بن عفان وأظهرو الفرح والسرور فى ذلك اليوم[٤].

ثم إن نائلة زوجة عثمان لبست القميص ورقصت به بين الرجال[٥].

وقيل: إن أخت معاوية بن حُـديج لما وصل قميص الأمير محـمد بن أبى بكر أرسلته إلى عـائشة بنت أبى بكر ومـعه خـروف مشـوى، فقـالت لها: إن أخـاك شوى مـثل هذا

---

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١١٥.
(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١١٥.
(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١١٦.
(٤) الولاة ص ٥٣.
(٥) الولاة ص ٥٤.

الخروف، فحلفت عائشة يمينًا أنها لا تأكل لحمًا مشويًا حتى تلقى الله تعالى، ولم تأكله أبدًا بعد ذلك اليوم[١].

وقيل: دخل نساء المدينة على أسماء بنت عميس، أم الأمير محمد بن أبى بكر ﷺ، فقلن لها: إن ابنك قُتل بمصر وأحرقوه فى جوف حمار ميت، وكانت قائمة تصلى، فعضت شفتيها حتى نشحت ثديها دمًا من شدة أسفها عليه[٢].

ثم تولى من بعده عمرو بن العاص ﷺ ثانيًا، ولاه معاوية بن أبى سفيان فى سنة ثمان وثلاثين من الهجرة، واستمر متوليا حتى مرض وتسلسل مرضه، فلما أشرف على الموت احضر ما كان جمعه من المال وقال لولده عبد الله، وكان ولده يقاربه فى السن، قيل: كان أبوه أكبر منه بثلاث عشرة سنة، فقال له: إذا أنا مت فاردد هذا المال إلى أربابه.

قيل: لما مات عمرو بن العاص أرسل معاوية بن أبى سفيان إلى عبد الله وهو يقول له: أين المال الذى جمعه أبوك، أرسله لنا، فأرسله عبد الله بتمامه وكماله، فأخذه معاوية ووضعه فى بيت المال لدفع العدو، فقيل لعبد الله: كم كان قدر ذلك المال؟ قال: كان قدره سبعين جرابًا من جلد الأبقار[٣].

وكانت وفاة عمرو بن العاص ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وأربعين من الهجرة، فلما كان يوم الفطر أخرج نعشه إلى الجامع حتى تكامل الناس وصلوا عليه بعد صلاة العيد، ثم دُفن فى مقابر الفسطاط على طريق الحاج، رحمة الله عليه، وله من العمر خمس وتسعون سنة[٤].

وكانت مدة ولايته الثانية نحو ست سنين إلا شهرًا[٥].

ثم تولى من بعده عتبة بن أبى سفيان، أخو أمير المؤمنين معاوية، فلما تولى على مصر أقام بها مدة يسيرة دون السنة، ومات ودُفن بمصر[٦].

---

(١) الولاة ص ٥٣

(٢) الولاة ص ٥٤.

(٣) الخطط ج ١ ص ٣٠١.

(٤) لدى ابن حجر فى الإصابة ج ٤ ص ٦٥٣: عاش نحو تسعين سنة وقيل تسع وتسعون.
ولدى السيوطى فى حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٤: تسعون سنة وقيل مائة سنة.

(٥) الإصابة ج ٤ ص ٦٥٣، الفضائل الباهرة ص ٣٠.

(٦) الفضائل الباهرة ص ٣٠.

ثم تولى من بعده الأمير عقبة بن عامر الجهنى، صاحب رسول الله ﷺ ورديفه، وهو الذى تسند إليه الأحاديث، تولى مصر سنة أربع وأربعين من الهجرة، وأقام بمصر حتى مات، رحمه الله، يوم النهروان ومات شهيداً، فكانت مدة ولايته على مصر سنتين وثلاثة أشهر، وكانت وفاته سنة سبع وأربعين من الهجرة، ودفن بالقرافة الكبرى، وقبره يزار إلى الآن[١].

ثم تولى من بعده الأمير عبد الرحمن، واستمر حتى مات.

ثم تولى من بعده الأمير سعيد بن يزيد بن علقمة الأزدى، تولى على مصر سنة اثنتين وستين من الهجرة، فكانت مدة ولايته سنتين إلا شهراً[٢].

ثم تولى من بعده الأمير عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم، ولاه عبد الله بن الزبير سنة أربع وستين من الهجرة، فلم تطل أيامه بمصر، ثم عُزل عنها[٣].

ثم تولى من بعده الأمير عبد العزيز بن مروان على مصر، ووقع بها الطاعون فرحل عبد العزيز من مدينة الفسطاط وتوجه إلى حلوان، لما يحدث فى البلد من أمر الموت، ومن يمت، وغير ذلك من الأخبار، فلم يزل عبد العزيز مقيمًا بحلوان حتى طُعن ومات بها، ثم حملوه فى نعش وجاءوا به إلى مصر، وقد تغيرت رائحته، وجعلوا حول النعش مجامر البخور مطلوقة، حتى دخلوا به إلى مدينة الفسطاط فدفن بها[٤].

ولما كان عبد العزيز بحلوان كان له فى كل ليلة ألف جفنة تُصَفُّ حول داره ملآنة بالطعام تُفرّق على الفقراء والمساكين، وجراية الخبز، وألف حلة طعام تحمل على عجل تفرق على قبائل العرب، واستمر ذلك حتى مات، رحمة الله تعالى عليه[٥].

ثم تولى من بعده الأمير عبد الله بن عبد الملك بن مروان فى سنة ست وثمانين من الهجرة، وكانت مدة ولايته ثلاث سنين وعشرة أشهر[٦].

(١) الولاة ص ٥٩، الخطط ج ١ ص ٣٠١.
(٢) الولاة ٦٣.
(٣) الولاة ص ٦٤.
(٤) الولاة ص ٧١، ٧٦، الخطط ج ١ ص ٢١٠، ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٢٢.
(٥) الولاة ص ٧٣، الخطط ج ١ ص ٢١٠، ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٢٢.
(٦) فى الأصل: «خمس سنين» والمثبت رواية الكندى ص ٨٤.

ثم تولى من بعده الأمير قرة بن شريك العبسى فى سنة تسعين من الهجرة، وكانت ولاية قرة عليها ست سنين وأيامًا(١).

ثم تولى من بعده عبد الملك بن رفاعة الفهمى، تولى على مصر مرتين، فطالت أيامه حتى مات ودُفن بها(٢).

ثم تولى من بعده الأمير أيوب بن شرحبيل الأصبحى فى ربيع الأول سنة تسع وتسعين(٣) فى خلافة عمر بن عبد العزيز، وظل واليًا بها حتى سنة ١٠١هـ(٤).

ثم تولى من بعده بشر بن صفوان، وهو الذى نقل بنى قيس إلى مصر فى سنة مائة وثمان وعشرين فى خلافة مروان(٥).

ثم تولى من بعده الأمير محمد بن عبد الملك بن مروان(٦).

ثم تولى من بعده الأمير حفص بن الوليد العامرى.

ثم تولى من بعده الأمير عبد الملك بن رفاعة.

ثم تولى من بعده الأمير عبد الرحمن بن خالد.

ثم تولى من بعده الأمير حسان بن عتاهية التجيبى.

ثم تولى من بعده الأمير حَوْثرة بن سُهيل الباهلى، كان رجلاً من العرب حليمًا قليل الغضب، قيل: إن رجلا من العرب دخل عليه وهو قائم يريد الدخول إلى حريمه، قال: فلما رأى الرجل وقف له لينظر ما حاجته، فوضع الأعرابى نصل سيفه على طرف رجل الأمير حوثرة، وهو لا يشعر، واستمر يسجع كلامه حتى سال الدم من رجل الأمير حوثرة،

(١) فى الأصل: «فلم تطل أيامه وعزل عنها» تحريف صوابه لدى الكندى فى الولاة ص ٨٦. والمقريزى فى الخطط ج ١ ص ٣٠٢ وعبارته: «ثم مات وهو وال سنة ست وتسعين».

(٢) الولاة ص ٨٧، الخطط ج ١ ص ٣٠٢.

(٣) فى الأصل: «فى سنة إحدى ومائة» والمثبت رواية الكندى.

(٤) الولاة ص٩٠ وعبارته: «وتوفى عمر بن عبد العزيز لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة، واستخلف يزيد بن عبد الملك فأقر أيوب بن شرحبيل على صلاتها إلى أن توفى لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة إحدى ومائة» ورواية والأصل: «ثم تولى... فى سنة ١٠١ فى خلافة عمر بن عبد العزيز أقام بها سنة ثم عزل» وما فى الأصل تحريف.

(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٢٧.

(٦) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٢٧.

فلما فرغ الأعرابى من كلامه انصرف فطلب الأمير حوثرة منديلا ومسح به رجله من ذلك الدم، فقيل له: يا أمير، لأى شيء سكتَّ للأعرابى حتى فعل بك هذا؟ قال: خفت أن أقطع عليه كلامه فيستحيى منى ولا تقضى حاجته(١).

ثم تولى من بعده الأمير عبد الحميد بن المغيرة الفزارى نحو ستتين، وعزل عن مصر بعد أن حصل فى أيامه غلاء عظيم، حتى أنه رهن حلىّ نسائه عند التجار، واشترى به قمحًا وفرقه على الفقراء والمساكين، فلما عزل وقفوا عليه التجار وطلبوا منه المبلغ الذى اقترضه منهم، وقدره عشرة آلاف دينار، فأمر ببيع الرهن فباعوه واستوفوا حقوقهم، ورحل عن مصر والناس عنه راضون(٢).

ثم تولى من بعده الأمير عبيد الله بن مروان، وهو آخر من تولى على مصر من بنى أمية رضى الله عنه وعنهم.

قال ابن وصيف شاه: لما انتقلت الخلافة إلى بنى العباس تولى السفاح، ثم توجه عبد الله بن العباس إلى الشام فى طلب من بقى من بنى أمية، ثم أرسل بالقبض على عبيد الله ابن مروان، أمير مصر.

فلما بلغ الأمير عبيد الله(٣) ذلك دخل إلى خزائن أمواله وأخذ منها عشرة آلاف دينار، واثنى عشر بغلاً فرشًا وقماشًا، وغير ذلك، ثم حمل معه خريطة ملآنة جواهر مثمنة، وأخذ معه عبيده وغلمانه، وخرج من مصر هاربًا قاصدًا إلى بلاد النوبة(٤).

فلما وصل إلى بلاد النوبة وجدها مدائن خرابًا لها قصور محكمة، فنزل فى بعض تلك القصور، وأمر عبيده وغلمانه أن يكنسوها فكنسوها وفرش فيها من تلك الفرش، ثم

(١) ابن إياس ج١ ق١ ص١٢٩.
(٢) ابن إياس ج١ ق١ ص١٢٩، ١٣٠.
(٣) لدى ابن عساكر فى مختصر ابن منظور ج ١٥ ص ٣٦٥: «عبيد الله بن مروان كان ولى عهد أبيه مروان بن محمد وهو الداخل إلى بلاد النبوية، وقيل إن الذى حكى هذه الحكاية عبد الله أخوه، وعُبيد الله قتلته النوبة.
وفى التنبيه والإشراف ص ٨٥ «أن عبيد الله هلك عطشا أثناء هروبه بعد قتل أبيه. ووقع عبد الله فى عدة ممن نَجَا معه إلى ... أرض البجة».
(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٣١.

أمر بعض غلمانه ممن يثق بعقله أن يذهب إلى ملك النوبة ويستأذنه فى الإقامة فى ملكه ويؤمنه[١].

فلما توجه الغلام إلى الملك اجتمع به وسلّم عليه، ثم استأذنه فى الإقامة فى ملكه وأخذ منه الأمان للأمير عبيد الله، ثم أرسل قاصدًا، فلما حضر القاصد قال للأمير عبيد الله: إن الملك يقرئك السلام ويقول لك: أجئت محاربًا أم مستجيرًا؟ فقال له: رد عليه السلام وقل له: جاء إليك مستجيرًا من عدوّ يريد قتله[٢].

فلما توجه القاصد إلى الملك وذكر له ذلك قام وهمّ إليه بالحضور، فلما حضر الملك قام إليه الأمير عبيد الله ونزل له من مرتبته وأمر له بالجلوس عليها فامتنع الملك من ذلك، ودفعها برجله ثم قال له: كل ملك لا يكون متواضعًا لله فهو جبار عنيد متكبر[٣].

ثم جلس ينكت فى الأرض طويلاً ثم قال له: كيف سُلبتم ملككم وأُخذ منكم، وأنتم أقرب الناس إلى نبيكم؟ فقال له: إن الذى سلب ملكنا منا هو أقرب منا إلى نبينا[٤].

فقال له: كيف تخالفون قول نبيكم وتشربون ما حرم عليكم من الخمر ولبس الحرير وتركبون السروج المذهبة ولم يفعل نبيكم شيئًا من ذلك؟.

وقد بلغنا أنك لما كنت متوليا على مصر كنت تخرج إلى الصيد فتكلف أهل القرى ما لا يطيقون وتفسدون الزرع على أصحابه، وتأخذون من أهل القرى الهدايا[٥].

فصار ملك النوبة يعد للأمير عبيد الله ذنوبًا كثيرة، وهو ساكت لا يتكلم، ثم قال: لَمّا استحللتم ما حرم الله عليكم أوجب عليكم النقمة، وأنا أخاف على نفسى النقمة بسببك إن أنزلتك عندى فتحل بى النقمة، فإن الرحمة مختصة والبلاء عام، ارحل عنى بعد ثلاثة أيام، وإن لم ترحل وإلا أخذت جميع ما معك وقتلتك أشد قتلة[٦].

---

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٣١.
(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٣١.
(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٣٢.
(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٣٢.
(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٣٢.
(٦) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٣٢ - ١٣٣.

فلما سمع الأمير عبيد الله[١] مقالته خـرج من يومه من أرض النوبة ورجع إلى مصر، فقـبض عليه عمـال الخليفـة الملك المنصور العـباسى وبعثـوه إلى بغداد، فسـجنه الملك المنصور حتى مات فى السجن[٢].

وهو آخـر من تولى فى مصـر من العمـال فى دولة الخلفاء الأمـوية [الذين كانوا فى دمشق، فلما انقرضت دولتهم وابتدأت دولة بنى العباس فتولى فى أيامهم جماعة كثيرة أكثر ممن تولى فى الدولة الأموية].

وكانوا يسمون عمال الخراج بمصر، وكـانت الخلفاء تشترط على عمالهم فى تقاليدهم الخيول العربيـة والأثواب الديبقية بينهن والمقاطع الشرب الإسكندرانيـة والطرز الصعيدية، وأجـلال الخيـل، وعسل نحل بـنها، والبـغـال والحـميـر، والأصناف التى لا توجـد إلا بمصر[٣].

---

(١) لدى المسعودى: «عبد الله».

(٢) المسعودى: التنبـيه والإشراف ص ٣٢٩ - ٣٣٠ ولديه: «فَظُفر بعبد الله أيام أبى العـباس السفاح فأودع السجن فلم يزل فيه بقية أيام أبى العباس وأيام المنصور والمهدى والهادى، فأخرجه الرشيد وهو شيخ ضرير، فـسأله عن خبره؟ فـقال: يا أمير المؤمنين، حُبست غلامًا بصـيرًا، وأخرجت شيخا ضـريرًا! فقيل إنه هلك فى أيام الرشيد، وقـيل بل فى أيام الأمين، وانظر فى ذلك أيضًا: ابن إياس ج١ ق١ ١٣٣.

(٣) النص فيه تحريف وسقط فى الأصل، وقد اعتمدنا فى تكملة النص وتصويبه على ما ورد لدى ابن إياس فى جواهر السلوك ورقة ٤، وانظر فى ذلك أيضًا بدائع الزهور ج١ ق١ ص ١٥٨.

[ذكر من تولى مصر من الأمراء العباسية]

فكان أول من تولى مصر فى دولة الخلفاء العباسية الأمير صالح بن على العباسى[1] سنة ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة، تولى مصر مرتين.

ثم تولى من بعده الأمير أبو عون عبد الملك الأزدى.

ثم تولى من بعده الأمير موسى بن كعب بن عيينة، سنة إحدى وأربعين ومائة.

ثم تولى من بعده الأمير محمد بن الأشعث الخزاعى وعُزل.

ثم تولى من بعده حميد بن قحطبة وعزل، ثم تولى من بعده يزيد بن حاتم المُهَلَّبى فى سنة سبع وأربعين ومائة، وحصل فى أيامه غلاء عظيم بسبب عدم زيادة النيل، وشرقت الأراضى وانتهت زيادة النيل إلى ستة عشر ذراعًا، ثم مات.

وتولى من بعده الأمير عبد الله بن عبد الرحمن، ثم مات.

وتولى من بعده الأمير محمد، أخو عبد الرحمن، ثم مات.

وتولى الأمير موسى بن عُلَىّ، وعُزل.

ثم تولى من بعده الأمير واضح المنصورى.

ثم تولى من بعده الأمير منصور بن يزيد.

ثم تولى من بعده الأمير يحيى بن داود، أيام المهدى.

ثم تولى من بعده الأمير سالم بن سوادة، فى أيام المهدى.

ثم تولى من بعده الأمير إبراهيم بن صالح العباسى، وكان الرشيد زوجه بنته فلم يستقم حاله فعزله الرشيد[2].

---

(١) انظر فى صالح بن على ومن بعده: الولاة ص ١١٩ وما بعدها.

(٢) كانت ولايته الأولى من قبل المهدى، والثانية من قبل الرشيد، الولاة ص ١٤٧، ١٥٩ ولدى المقريزى فى المقفى ج ١ ص ١٧٩ فلما قام بالخلافة هارون الرشيد أمره أن يشترى له جاريتين فاشتراهما على ما وصف له الرشيد، واتخذهما لنفسه، فلما بلغ ذلك الرشيد عنه أمر بحلق رأسه وعزله».

ثم تولى من بعده الأمير موسى بن مصعب.

ثم تولى من بعده الأمير عسامة بن عمرو.

ثم تولى من بعده الأمير الفضل بن صالح العباسى.

ثم تولى من بعده الأمير على بن سليمان العباسى.

ثم تولى من بعده الأمير موسى بن عيسى العباسى.

ثم تولى من بعده الأمير مسلمة بن يحيى الأحمسى.

ثم تولى من بعده الأمير محمد بن زهير الأزدى.

ثم تولى من بعده الأمير داود بن يزيد المهلبى.

ثم تولى من بعده إبراهيم بن صالح العباسى سنة ست وسبعين ومائة، ومات ودفن بالقرافة[١].

وتوفى الإمام الليث بن سعد فى أيامه، ودفن بالقرافة فى سنة خمس وسبعين ومائة يوم الجمعة رابع عشر شهر شعبان من السنة المذكورة[٢].

ثم تولى من بعده الأمير عبد الله بن المسيب الضبى.

ثم تولى من بعده الأمير إسحاق بن سليمان العباسى.

ثم تولى من بعده الأمير عبيد الله بن الخليفة المهدى العباسى، ثم عُزل.

ثم تولى من بعده الليث بن الفضل الأسدى وعُزِل.

ثم تولى من بعده الأمير مالك بن دلهم الكلبى وعُزِل.

ثم تولى من بعده الأمير الحسن بن التختاخ وعُزِل.

ثم تولى من بعده الأمير حاتم بن هرثمة وعُزِل.

ثم تولى من بعده الأمير جابر بن الأشعث الطائى وعُزِل.

ثم تولى من بعده عباد بن محمد وعُزِل.

---

(١) الولاة ص ١٥٩ - ١٦٠.

(٢) ابن إياس ج١ ق١ ص١٣٧.

ثم تولى من بعده المطلب بن عبد الله الخزاعى وعُزِل[١].

ثم تولى من بعده السرى بن الحكم وعُزِل.

ثم تولى من بعده الأمير عبد الله بن طاهر الخزاعى، كان من حذاق عمال مصر، وهو الذى نقل إلى مصر ذريعـة البطيخ العبد لاوى سنة مائتين من الهجـرة، ولم يكن فى مصر شيء منه، وهو الذى أظهـره، ونسب إليه، تولى على مـصر سنة إحـدى ومائتـين، ومات ودُفن بمصر[٢].

ثم تولى من بعده ولده محمد على مصر.

وفى أيامـه توفى الإمام محـمد بن إدريس الشـافعى ﷺ، ودُفن بـالقرافة تجـاه تربة القاضى بكار فى ليلة الجمعة سلخ شهـر رجب الفرد، سنة أربع ومائتين من الهجرة، وكان مولده بمدينة غزة سنة خمسين ومـائة، وهى السنة التى توفى فيها الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان، رحمه الله[٣].

قيل: لما مرض الإمام الشافعى أوصى أن لا يغسله إلا الأمير محمـد أمير البلد، فلما مات أخبروا الأمير مـحمداً بوصيته ﷺ، فقام من وقته وسـاعته وحضر إلى عنده، وقال: هل عليه دَيْـن؟ فقيل له: نعم، سبعـين ألف درهم، فدفع ذلك عنه، وقـال: هذا غسلى إياه، إنما عنى بالغسل قضاء الدين[٤].

وأوصى ﷺ أنه إذا مات تصلى عليـه السيدة نفيـسة، فحُمل إلى عندها وجُـعلت لها ستارة وصلت عليه، ثم حُمل من عندها ودفن فى تربته فى أيام ولاية الخليفة المأمون[٥].

وأما نسبه ﷺ فإنه متصل بأجداد النبـى ﷺ، فهو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شـافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بـن المطلب بن عبد مناف جد النبى ﷺ[٦].

(١) أقحم بعدها فى الأصل خبر خاص بالقاضى بكار بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٥ وليس مكانه هنا.

(٢) الخطط ج ١ ص ٣١١، الفضائل الباهرة ص ٣٧، ١٤١ هامش ٤.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٤٣، ١٤٥.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٤٥.

(٥) ابن رياس ج ١ ق ١ ص ١٤٥.

(٦) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٤٣.

وأمه فاطمة بنت عبد الله بن الحسن بن الحسين ﷺ[١].

وقد رأت أمه فى منامها وهى حامل به، أنه خرج من بطنها نجم له ضوء عظيم فسقط بأرض مصر، ثم طارت منه شظايا فانتشرت فى سائر الآفاق، فقصت هذه الرؤيا على بعض المعبرين فقال: سيخرج من بطنك مولود ويكون من أكابر العلماء، ويختص بعلمه أهل مصر، دون غيرها من البلاد، ثم ينتشر بعد ذلك فى سائر البلاد[٢].

وكان الإمام ﷺ حسن الخُلق، قليل الغضب، سخى النفس، عاصر الإمام أحمد بن حنبل[٣].

ثم تولى من بعده عبيد الله بن السرى سنة ست ومائتين[٤].

وفى أيامه توفيت السيدة نفيسة ﷺ فى شهر رمضان سنة ثمان ومائتين[٥] ودُفنت بالمراغة، وكانت لها كرامات خارقة وأسرار صادقة، قيل: إن النيل توقف فى أيامها ولم يزد شيئًا فأرسلت قناعها وغسلوه فيه فزاد فى ليلة ستة عشر ذراعًا[٦]، ولم يقع طاعون بمصر فى زمن الشافعى ولا فى أيامها ﷺ.

وقد قرأ عليها الإمام الشافعى الحديث، هكذا ذكره شمس الدين بن خلكان فى تاريخه[٧].

والسيدة نفيسة بنت الأمير الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب ﷺ[٨].

زوجة إسحاق بن جعفر الصادق، جاءت إلى مصر مع زوجها وابنها وأولادها[٩]،

---

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٤٣.
(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٤٣.
(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٤٤.
(٤) الولاة ص ١٩٨.
(٥) ابن خلكان ج ٥ ص ٤٢٤.
(٦) تحفة الأحباب ص١٠٩.
(٧) وفيات الأعيان ج ٥ ص ٤٢٤.
(٨) ابن خلكان ج ٥ ص ٤٢٣.
(٩) ابن خلكان ج ٥ ص ٤٢٣

وماتت ولها من العمر ما ينيف عن سبعين سنة[١] فى أيام الأمير عيسى بن منصور الرافقى، وفى أيامه خرجوا أهل مصر عن طاعة الخليفة المأمون وامتنعوا عن وزن الخراج وطردوا العمال عن البلاد، وصارت فتنة عظيمة بمصر، حتى كادت تخرب، حتى قدم الخليفة المأمون إلى مصر فهدأت البلاد، وعزل عيسى بن منصور الرافقى عن مصر.

ثم تولى من بعده الأمير نصر السعدى، ثم تولى من بعده ولده المظفر.

ثم تولى من بعده موسى بن أبى العباس ثم تولى الأمير موسى بن على ثم تولى من بعده على يحيى، وتولى من بعده مالك بن كيدر.

ثم تولى من بعده عَنْبَسة بن إسحاق بن شَمِر أبو جابر [الضبى] وفى أيامه هجموا بنو الأصفر[٢] على ثغر دمياط، ونهبوا المدينة، وقتلوا جماعة من أهلها[٣].

ثم جاء الخبر إلى الأمير عنبسة يوم عيد النحر فنادى بالنفير عامة، فخرجوا أهل الفسطاط، وتوجهوا جميعًا إلى ثغر دمياط صحبة الأمير عنبسة، فحاربهم وقتلهم وانتصر عليهم، وأسر منهم جماعة[٤].

ثم رجع إلى مصر فأقام بها مدة ومات، ودُفن بها، رحمه الله[٥].

ثم تولى من بعده الأمير يزيد التركى، وكان من الموالى، تولى أيام الخليفة المتوكل جعفر الذى بنى المقياس فى جزيرة الفسطاط، وأبطل المقياس الذى بناه أسامة بن زيد التنوخى فى أيام خلفاء بنى أمية، وصار العمل على هذا المقياس، وكان بناؤه فى سنة سبع وأربعين ومائتين[٦].

ثم تولى من بعده الأمير محفوظ بن سليمان[٧] ثم تبقى عليه من خراج مصر فى أيام

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٤٦.
(٢) بنو الأصفر: الروم، وانظر الولاة ص ٢٧٧.
(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٥٣، وما بين حاصرتين منه.
(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٥٣.
(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٥٣.
(٦) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٥٣ - ١٥٤.
(٧) محفوظ بن سليمان (المتوفى سنة ٢٥٤ هـ) عامل خراج مصر فى عهد الرشيد هارون، ولاه سنة ١٨٧هـ، ثم عزله، وأعيد فى عهد المتوكل.

الخليفة المتوكل ثلاثمائة ألف دينار، فلما بلغ الخليفة ذلك أرسل إليه وطلبه وأحضره بين يديه فى الحديد وهو فى غاية الوهم، وكان الخليفة قد فرغ من صلاة الفجر وفى يده درج[1] مكتوب [بماء] بالذهب، فلما رآه قال له: من أنت؟ فقال له: أنا عبدك محفوظ بن سليمان، قال: ويحك، فى أى ساعة حضرت ودخلت؟ فقال: فى ساعة خير، فقال: هل تعرف ما هو مكتوب فى هذا؟ فقال: لا والله، قال: هذا من كتب دانيال، عليه السلام، يقول الله تعالى: عند تناهى شدتى يكون فرجى، وعند نزول بلائى يكون رجائى، وفى مثلى فليطمع الطامعون يا محفوظ، اذهب فقد وهبت لك ما عليك من الخراج ووليتك مصر ثانيًا، فامض راشدًا[2].

وفك قيده وأخلعه خلعة سنية، ففرح فرحًا شديدًا، ثم إنه استمر متوليًا حتى مات، ودُفن بمصر.

ثم تولى من بعده الأمير أحمد بن محمد بن المدبر، وكان ظالمًا، أحدث مظالم كثيرة، كانت سببًا للخراب حتى مات[3].

(١) الدَّرج ـ بسكون الراء وفتحها ـ الذى يكتب فيه.
(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٥٨، وما بين حاصرتين منه.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٥٩.

[ذكر أخبار دولة الأمير أحمد بن طولون]

ثم تولى من بعده الأمير أحمد بن طولون[١]، كان بطلاً شجاعًا، عالى الهمة، سعيد الحركات، تولى من قبل المعتز سنة أربع وخمسين ومائتين[٢].

وكان ضيق الحال، فلما وصل إلى مصر خرج له شخص من الأعيان يسمى على بن معبد البغدادى ومعه عشرة آلاف دينار أهداها إليه لما رأى من ضيق حاله[٣]، فوقع لذلك موقعًا عظيمًا عنده وصار أعز جلسائه، فكان الأمير أحمد بن طولون لا يتصرف فى شىء من الأشياء حتى يستشيره فيه[٤].

ثم إنه أخذ فى عمارة ما خرب فى مصر من القرى والجسور والقناطر، وحفر الخلجان وسد الترع واستقامت أحوال مصر بعد أن آلت إلى الخراب[٥].

فلما حصلت العمارة والعدل حصل الرخاء والأمن حتى أبيع القمح فى أيامه كل عشرة أرادب بدينار، وعلى هذا فَقِسْ، وزاد الخراج أربعة أمثاله، فكان جملة ما تحصل من الخراج غير المكوس أكثر من أربعة آلاف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار[٦].

واشترى له أربعة آلاف مملوك وأربعين ألف عبد أسود، ومن الغلمان سبعة آلاف غلام.

---

(١) انظر فى أحمد بن طولون: وفيات الأعيان ج ١ ص ١٧٣، الخطط ج ١ ص ٣١٣ وأخباره فى كتب التواريخ العامة، وسيرة أحمد بن طولون للبلوى، والمغرب (قسم مصر) وابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٦١.

(٢) فى الأصل: «تولى فى آخر خلافة المتوكل سنة ٢٥٥ هـ» والمتوكل توفى سنة ٢٤٧ هـ والمثبت رواية الكندى فى الولاة ص ٢٣٩.

(٣) رواية المقريزى فى الخطط ج ١ ص ٣١٤: «ولما تسلم أحمد بن طولون مصر كان على الخراج أحمد بن المدبر فأهدى إلى أحمد بن طولون هدايا قيمتها عشرة آلاف دينار بعدما خرج إلى لقائه...» والخبر لدى ابن إياس بالنص ج ١ ق ١ ص ١٦١.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦١.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦١.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦١.

ثم سطا على الخلفاء وادعى الخلافة لنفسه وانفرد بالخراج، وحاربه الخليفة المعتز بالله أشد المحاربة، فلم يقدر عليه، فخضع له وتركه.

ثم إن الأمير أحمد أرسل من بعد ذا يخطب ابنته واسمها قطر الندى، أصدقها مائة ألف دينار ثم توجهت إليه، وكان لها فرح عظيم، فدخل عليها وأحبها حبًا شديدًا، وأقامت معه حتى ماتت[١].

قال ابن وصيف شاه: خرج الأمير أحمد بن طولون يومًا للنزهة نحو الأهرام فغاصت قوائم فرسه فى الأرض، فأمر بكشف الأرض فكشف له عن مطلب ملآن ذهبًا أحمر، فنقل إلى خزائنه على ظهور الجمال[٢].

ثم أخذ فى بناء جامعه المسمى به، أصرف عليه أكثر من مائة ألف دينار ووضع أساسه على جبل يشكر، وكان هذا الجبل يشرف على بحر النيل وليس بينه وبين النيل شىء، وكان يشرف على البركتين، أعنى بركة الفيل، والبركة التى تعرف اليوم ببركة قارون، والجبل جبل مبارك، كان موسى، عليه السلام، يناجى ربه عليه، وهو مستجاب الدعاء فيه، فإن النمل اجتمع هناك وخط خطا فوضعوا عليه محراب الجامع، وسمى بمحراب النمل[٣].

ثم لما بناه رتب له رواتب خيرات وأرزاقا وفقهاء، وعلماء ومدرسين وغيرهم، وجعل لهم طعامًا وخيرات وخبزًا وحلواء، وجعل بإزائه بيمارستانا للضعفاء، ولم يكن قبل ذلك بمارستان للضعفاء.

وجملة مصروفه فى كل يوم ألف ومائتا دينار، وكان يرسل فى كل سنة إلى فقراء بغداد صدقة كبيرة، وكسوة الشتاء والصيف.

قال الشيخ أبو الحسن بن حماد، من أكابر العلماء: كنت راقدًا ليلة من الليالى وإذا أنا

---

(١) ماتت قطر الندي لتسع خلون من رجل سنة سبع وثمانين ومائتين ودفنت داخل قصر الرصافة ببغداد، ومات المعتضد سنة ٢٨٩ هـ.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦٢.

(٣) النص فيه اضطراب فى الأصل، والمثبت اعتمادًا على ما ورد لدى المقريزى فى الخطط ج١ ص١٢٥، وانظر لذلك أيضًا: الروضة البهية لابن عبد الظاهر ص ٨١، حسن المحاضرة ج١ ص ١٤٢.

بالبـاب يطرق فنظرت مَنِ الطارق، وإذا برجـال معـهم مشـاعل فـقلت لهم: من تريدون؟ فـقالوا: نريدك تمـضى معـنا إلى الأميـر أحمـد بن طولون فـإنه طلبك فى هذه السـاعـة، فارتعدت فرائصى ونزلـت معهم وسرت معهم إليه، فلمـا وصلت إلى حاجب الباب سلمت عليه فقـال لى: ادخل وأسرع فى المشى، فدخلت وسلمت، فـإذا هو نائم على ظهره فى قبة لطيـفة، وبين يديه شمعـتان، فوقفت طويلاً، ثم قال لى: أبو الحـسن؟ فقلت: نعم، قال: اجلس، فجلست فقال: لأى شىء تصلح هذه القبة؟ وهى قبة لطيفة، فقلت: تصلح للذكر وقراءة القرآن ومطالعة العلم ومنادمة المحبين[١].

ثم تبسم وقـال لى: ما تقول فـيمن سلط على شىء هل يعذب؟ فـفهمت أن المـسألة متـعلقة بى، فقلت له: يا أمـير المؤمنين لو كـان كل شىء يسلط معـذبًا لكان ملك الموت أشد الناس عذابًا يوم القيامة[٢].

ثم سكت وقال: انصـرف، فانصرفت إلى منزلى وأنا أرعد من الخـوف، فلما وصلت وإذا أنا بحاجبـه معه كيس فـيه مائة دينار، فقـال لى: الأمير أحمد أرسل لـك هذا الفتوح تسكن به روعك[٣].

فإنه كان سريع الغضب سفاكًا للدماء.

وكان راتب مطبخه فى كل يوم ألف دينار تصرف على احتياج الطعام والحلواء والسكر والشمع وغير ذلك[٤].

وكان منتهى حكمه من مصر إلى الفرات، ثم من مصر إلى الغرب[٥].

قيل: وكـان بالمطرية ـ وكـان اسمهـا قديمًـا عين شـمس ـ صنم من الحجـر الأبيض الكَذّان[٦] على هيئة الرجل استـحكمته الكهنة، فقصد الأمير أحمـد بن طولون التوجه إليه

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦٥.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦٦.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦٦.
(٤) المقفى ج ١ ص ٤٢٩، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦٧.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦٨.
(٦) الكذّان: حجارة فيها رخاوة، وربما كانت نَخِرَة.

لينظره فمنعه من ذلك أكـابر البلد، وقالوا له: لا تتوجه إليـه، فكل من توجه إليه من أهل الحكم عزل من منصبه فى سنته، فلم ينته عن ذلك[١].

ثم توجه فلمـا رآه أمر بإزالته وأحضر القطاعـين فكسروه قطعًا قطعًا، فـلم يقم الأمير أحمد بن طولون بعد كسر الصنّم غير عشرة شهور.

ومرض مرضًا شديدًا حتى خرج المسلمون بالمصاحف على رءوسهم، واليهود بالتوراة على رءوسـهم، والنصـارى بالإنجيل عـلى رءوسهم، والأطفـال بالألواح على رءوسـهم، وعامة الناس يـبكون ويتضرعون بالدعـاء إلى الله تعالى بالسلامة والعـافية للأميـر أحمد بن طولون، واستـمر مريضًا حتى مـات، رحمة الله تعالى عليـه، فى سنة سبعين ومـائتين[٢]، ومدة ولايته بمصر ست عشرة سنة[٣].

وكان يقـول وهو مريض: يارب ارحم من جـهل مقـدار نفسه وغـره حلمك يا أرحم الراحمين.

فإنه كان عادلاً فى الرعـية كريمًا منقادًا للشرع، يحب العلمـاء والصلحاء، ويحب فعل الخيرات، ويصلى على أموات المـسلمين، ويحضر دفنهم غنيًا كان أو فقـيرًا، وله اشتغال بالعلم وطلب الحديث.

نافذ الكلمة وافر الحرمة، خيروه على خلفاء بغداد ليس فيه عيب سوى سفك الدماء، سريع الغضب سيئ الخُلق، مات فى حبسه ثمانية عشر ألف إنسان[٤].

ولمـا مات دفن قـريبًا من باب الـقرافـة، فكان شيخ يقـرأ القـرآن على قبـره ثم يرتل القرآن، فبعـد ذلك ترك القراءة فسُئل عن ذلك فقال: رأيته فـى المنام فقال لى: يا فلان، أسألك أن لا تقرأ علـى قبرى بعد هذا اليوم شـيئًا، فإنك لمـا تقرأ آية أسمعهـا منك، يقال لى: أما اطلعت على هذه الآية فى الدنيا؟ فلِم لا عملت بـها، وما رأيت يا فلان أشد على

---

(١) الخطط ج ١ ص ٢٣٠ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٦٧.

(٢) فى الأصل: «تسع وستين والمثبت رواية القـضاعى فى تاريخه ص٤٧٧ وابن ظافر فى أخبار الدول المنقطعة ص٧١ وابن إياس ج١ ق١ ص١٦٧.

(٣) تحرف فى الأصول إلى: «اثنتا عشرة سنة» وصوابه لدى ابن ظافر وابن إياس.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦٨.

رؤساء الدنيا من حُجَّابهم، يمنعون المظلوم من اجتماعه على الحكام، حتى لا يزيلوا ظلامتهم، ثم أنشد هذه الأبيات:

ولو أنَّا إذا متنا تركنا
لكان الموت راحة كل حيٍّ
ولكنا إذا متنا بُعثنا
ونُسأل بعد ذا عن كل شيء[١]

قال: ولما مات الأمير أحمد بن طولون خلَّف ثلاثة وثلاثين ولداً، منهم سبعة عشر ذكراً، والباقي إناثاً[٢].

وخلف عشرة آلاف ألف دينار ذهبًا عينًا، وسبعة آلاف فرس وعشرة آلاف جمل، وألف مركب، ومائة صندوق جواهر ومعادن ويواقيت وغير ذلك من الأملاك والبساتين[٣].

وقد أنشد شخص هذه الأبيات:

خذ القناعة من دنياك وارض بها
واقصد لنفسك منها راحة البدنِ
وانظر لمن قد حوى مما سمعت به
هل خصه غير بعض القطن والكفنِ[٤]

ثم لما مات الأمير أحمد بن طولون تولى من بعده ولده خمارويه، فمشى على نظام والده، وزاد فى غلمانه عشرة آلاف غلام، وجعل لهم جامكية[٥].

وكان يحب الجياد من الخيل ويستأصلهم ويسأل عن أصلهم مثل الرجال الجياد، حتى ضاقت بهم الإصطبلات.

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦٨.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦٧.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦٩.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦٩.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦٩.

وكان كثير العمارة، غرس الأشـجار من سائر الأنواع على اختلاف الألوان، ثم أحضر الأشجار وغرسها فى الميدان الذى بناه قـريبًا من جامع أبيه، وجعل فيه من سائر الزهورات والرياحين(١).

قيل: خرج يومًا يريد التنزه فاعترضه أعرابى فى الطريق، وقال له هذا الشعر:

إن السنان وحـدَّ السـيف لو نطقـا

لحـدَّثا عنك فى الهيـجاء بالعـجبِ

أفنيـتَ مـالك تعطيــه وتبـذله

يا آفـة الفضة الـبيضـاء والذهبِ(٢)

قال: فلما سمع خمارويه منه هذه الأبيات قال لغلامه: ادفع له ما معك فى الخريطة، فدفـعه إليـه فوجـده خمـسمائـة درهم، فقال الأعـرابى: زدنى، فمـثلك من يزيد، فـقال للمماليك الذين معه: اطرحوا عليه سيوفكم ومناطقكم فطرحوها عليه، فلم يقدر عليها فى الحمل فدفع له بغلا فحملها عليه(٣).

فلما رجع الأميـر خمارويه إلى منزله فرَّق عليـهم جميع الذى طرحوه عليه، واسـتمر الأمير خمارويه فى أرض مصر حتى مات، رحمه الله، ودفن بجوار قبر أبيه.

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦٩.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٧٠ - ١٧١.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٧١.

[أمير الجيوش الأفضل]

ثم تولى من بعده الأمير الأفضل بدر الجمالى أمير الجيوش صاحب سوق أمير الجيوش[١].

والأفضل هو الذى بنى المسجد المطل على بركة الحبش المعروف بالرصد[١].

وقيل: بسبب تسميته الرصد أنه كان فوق أعمدة من رخام أبيض وفوقه كرة نحاس أصفر نحو قنطار بسبب تحرير الساعات لأجل وقت الصلاة.

ولم ينسب للحاكم بأمر الله من بنائه شىء، وإنما هى إشاعة بين الناس فى نسبته إلى الحاكم[٢].

ومن الحوادث فى أيام الأفضل: هاجت ريح سوداء مظلمة اشتد هبوبها وأظلم الجو حتى ظهرت النجوم بالنهار، فارتاع الناس من ذلك وتوجهوا إلى المساجد يبتهلون إلى الله تعالى بالدعاء، فلم تزل تلك الرياح عاصفة من العصر إلى المغرب ثم بعد ذلك سكنت الريح وانجلت تلك الظلمة وعادت الناس إلى دكاكينهم بعدما تركوها مفتحة ومضوا إلى المساجد، وذلك يوم الجمعة ثانى شهر رجب سنة تسع وسبعين ومائتين[٣].

ثم تولى من بعده هارون بن خمارويه، ومات.

ثم تولى من بعده شيبان من أولاد أحمد بن طولون، وعُزِل[٤].

ثم تولى من بعده كَيَغْلَغ التركى ومات، ومدتهم كلها يسيرة جدًا، من سنة إلى سنتين.

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٧٢.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٧٣.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٧٢.
(٤) ابن إياس ج١ ق١ ص١٧٣.

[الدولة الإخشيدية بمصر]

ولم يزل الأمر مضطربا بمصر حتى ابتدأت الدولة الإخشيدية.

قال الكندى: أول من تولى مصر من الإخشيدية أحمد بن كيغلغ، وبعده محمد بن طغج، وبعده خادمهم كافور، فكل واحد منهم كانت مدته يسيرة جدًا نحو السنتين أو أكثر.

ولم يستقم حالهم سوى أبى بكر بن محمد [بن طغج] تولى مصر نحو خمس عشرة سنة، واستقامت أحوال الديار المصرية(١).

واستكثر من العساكر ورتب لهم الرواتب وزاد لهم الجوامك، فكانت عدة عساكره بمصر والشام نحو أربعمائة ألف فارس، وبلغ خراج مصر فى أيامه ألف ألف دينار(٢).

قيل: إن وزيره عمل لأولاده فى ليلة الغطاس فوانيس شمع مزهر، فكان مصروفه مائة وعشرين ديناراً.

واستمر الأمير أبو بكر متوليًا على مصر حتى مات ودفن بمصر(٣).

[ذكر أخبار أبى المسك كافور الإخشيدى]

ثم تولى من بعده خادمه كافور أبو المسك الإخشيدى ومشى على مشى أستاذه، ومما وقع له أنه كان جالسًا فى موكب يوم عيد فدخل عليه جماعة من التكرور، ومعهم طبل وطنبور، فرقصوا بين يديه فطرب لذلك وحرك كتفه وحرك رأسه، ثم استدرك فرطه فصار يحرك كتفه فى كل ساعة من الليل والنهار خوفًا لأن يستخفوا به، وقال: هذا مرض يحصل لى فى كل حين، ولم يخرج عن ناموسه(٤).

---

(١) ابن إياس ج١ ق١ ص١٧٨ وما بين حاصرتين منه.

(٢) لدى ابن إياس الذى تتفق عبارته فى كثير من الأحوال مع عبارة المؤلف: «ألفي ألف ألف دينار».

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٧٨.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٨٠.

وكانت علامته على مراسيمه: يمد القلم بمده، والسيف بحده، والعبد بسعده لا بأبيه ولا بجده[١].

وكان راتب مطبخه فى كل يوم سبعمائة رطل لحم ضأن، وألفى رطل لحم بقرى، ومائة طير أوز، وثلاثمائة طير دجاج، وثلاثمائة طير حمام، وعشرين فرد سمك كبار، نحو خمسة قناطير، وعشرين رميسا رضيعًا، وثلاثمائة صحن حلوى، وسبعة أفراد فاكهة، وألف كوز فُقّاع[٢]، ومائة قرابة سكر، وألف كماجة [من الخبز] وخمسة أفراد بقولات، وكان يحضر سماطه الخاص والعام[٣].

وحصلت زلزلة عظيمة فى أيامه خاف الناس منها وهربوا إلى الصحارى، فدخل عليه محمد بن عاصم الشاعر، وأنشد يقول:

ما زلزلت مصر من خوف يُراد بها

لكنها رقصت من عدله طربا[٤]

قال: فلما سمع كافور ذلك أجازه عليها ألف دينار، وهى الجائزة التى هيجت المتنبى حتى قدم مصر، ومدح كافوراً بقصائد سنية ثابتة إلى الآن فى ديوانه[٥].

وحصلت فى أيامه نار عظيمة أحرقت ألفًا وسبعمائة دار غير البضائع والأقمشة من سوق البزازين إلى قيسارية العسل، ودخل الليل والنار على حالها، وبات الناس على وجل، فركب كافور ونادى فى الناس أن كل من أحضر قربة من الماء فله مائة درهم، فجاء الناس بنحو عشرة آلاف قربة وأطفئوا النار[٦].

ووقع غلاء عظيم بسبب توقف البحر، فإنه لم يبلغ فى زيادته غير اثنى عشر ذراعًا

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٨٠.
(٢) الفُقّاع: شراب يتخذ من الشعير، يُخَمّر حتى تعلوه فقاعاته.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٨٤ وما بين حاصرتين منه.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٨١.
(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨١.
(٦) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٣.

وتسعــة عشر أصــبعًا، ثم إنه هبط فـشرقت الأرض، ووقع غلاء بســبب ذلك فى سنة س
وخمسين وثلاثمائة[1].

واستــمر كافور الإخـشيدى فى ولايتـه حتى مات فى سنة ســبع وخمســين وثلاثمائ
ودفن بالقرافة الصغـرى، وكانت مدة ولايته على مصر سنتين وأربعــة أشهر، وهو آخر
تولى من الأمراء.

قال ابن وصيف شاه: تولى علــى مصر من الأمراء اثنان وسبعون أمـيرًا، أولهم عم
ابن العاص ﷺ، وآخرهم أبو المسك كافور الإخشيدى، ودفن غالبهم بمصر[2].

ومن مبتدإِ ظهــور الإسلام، من حين فُتحت مصر على يد عـمرو بن العاص، وأخذ
من يد المقوقس عظيم القبط، لم ينفرد أحد من أمرائها بنفسه ويستغل خراجها سوى الأ
أحمد بن طولون فى مدة ولايته عليها[3].

[دخول جوهر الصقلى إلى مصر]

ولما مات الأمير كافــور واضطربت أحوال الديار المصرية وطمع أهل القرى فى الج
وامتنعوا عن وزن الخراج، فـعند ذلك كتبوا أعيان مصر إلى الملك المـعز الفاطمى، و
ببلاد الغرب، بأن يحضر إلى الديار المصرية ويتسلم المدينة ويتولى عليها[4].

فلما وقف المــعز على تلك المكاتبات أرسل إلى مصــر الأمير جوهرًا الصــقلى الق
ومعه مائة ألف [فارس] من العساكر المغربيــة، فكان دخول جوهر القائد إلى مصر فى
ثمان وخمسين وثلاثمائة[5].

فلما دخل إليها لم تعجبه مدينة الفسطاط، فأخذ فى أسباب عمارة القاهرة.

قال الشــيخ الذهبى: لما أراد الأمير جـوهر القائد أن يبنى سور القــاهرة، خط أسا

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٣.
(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٤ ولديه: «وآخرهم أبو الفوارس أحمد الإخشيدى».
(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٤.
(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٤.
(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٤ وما بين حاصرتين منه.

المدينة وجمع أرباب الفلك فأمرهم أن يختاروا له طالعًا سعيدًا يضع فيه أساس المدينة، فجعل على كل جهة من أساس المدينة قوائم من الخشب، وبين كل قائمة من أساس المدينة حبلاً فيه أجراس من نحاس، ثم وقف الفلكية ينتظرون دخول الساعة الجيدة والطالع السعيد ليضعوا فيها الأساس، وكان لهم إشارة مع البنائين إذا حركوا لهم تلك الحبال التى فيها الأجراس فيلقوا ما بأيديهم من الحجارة إذا سمعوا حس الأجراس، فبينما هم واقفون لانتظار الساعة السعيدة، فاتفق أن غرابًا وقع على تلك الحبال، فتحركت الأجراس التى بها، فظن البناءون أن الفلكية حركوا لهم الحبال التى فيها الأجراس، فألقوا ما بأيديهم من الحجارة فى الأساسات التى حفروها للسور فصاحوا عليهم الفلكية لا، لا، القاهر فى الطالع، يعنون المريخ، واسمه عندهم القاهر، فقُضى الأمر وخانهم ما قصدوا من الطالع السعيد، فكان كما قيل:

يريد المرء أن يُعطَى مناه

ويأبى الله إلا ما أرادا[1]

فقال الفلكية: اعلموا أن هذه المدينة أكثر من يملكها الأتراك، وكان الأمر كذلك، وكان بناء سور القاهرة فى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة[2].

وبنى السور أولاً بالطوب اللبن، فلما فرغ بناء السور أرسل الأمير جوهر القائد يعرف المعز بفراغ بناء السور، فقدم إليها.

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٥.

(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٥.

ابتداء دولة الخلفاء الفاطمية العبيدية بمصر

قال الشيخ شمس الدين [الذهبى] فى نسب المعز: هو: أبو تميم معدّ بن المنصور إسماعيل بن القائم بالله محمد [بن] المهدى عبيد الله المغربى [الفاطمى، ولد] ببلاد المغرب [بمدينة إفريقية] يوم الجمعة تاسع عشرين شوال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، وهو رابع خليفة من بنى عبيد الله ببلاد المغرب بمدينة إفريقية(١).

وفى سبب شرف الفاطميين أقوال كثيرة، منها: نسبتهم إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

ومنها: نسبتهم إلى الحسين بن محمد بن أحمد القداح، وأصل القداح من أبناء المجوس، وهو مشهور عند المؤرخين، وأكثر الاتفاق عليه(٢).

قال الذهبى: كان قدوم المعز إلى مصر فى يوم الجمعة ثامن رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة(٣).

وانقرضت دولة الإخشيديين بموت كافور الإخشيدى، رحمه الله.

قال الشيخ شمس الدين الذهبى: لما دخل المعز إلى مصر، كان معه ألف وخمسائة حِمْل ذهبًا عينًا، ومعه قماش وتحف ما لا يسمع بمثلها، ومعه قبة من البلور يجلس فيها، وهى قطعتان كان إذا نصبها فى اللّيلة المقمرة، أخفت نور القمر من شعاعها، ومعه أربع خوابى من البلور كل خابية تملأ زهاء راوية من الماء.

ثم إنه حمل أجداده معه الذى ماتوا بإفريقية ببلاد المغرب، حملهم إلى مصر ودفنهم بالقرافة الكبرى(٤).

---

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٧ وما بين حاصرتين منه.
(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٧.
(٣) تاريخ الإسلام للذهبى (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠ هـ) ص ٢٤٩.
(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٧.

ثم إن المعز لما رأى ما بناه له جوهر القائد لم يعجبه ذلك وعابه، ثم قال: لأى شيء جعلها فى وطئة؟ لا هى بحرية ولا هى جبلية[١]، لأى شيء ما جعلتها على البحر، وكان قد سماها المنصورية أولاً، ثم لما بلغه ما وقع للفلكية غيَّر ذلك الاسم، وسماها القاهرة المعزية[٢].

قال المُسبِّحى: لما استقر المعز فى ملك مصر انفرد بها ولم يدخل تحت طاعة الخلفاء العباسية، وقال: أنا أفضل منهم، لأنى من ولد فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وكانت الخلفاء الفاطمية يحكمون من مصر إلى الشام إلى حلب إلى الفرات، وإلى مكة والمدينة، وإلى القدس والخليل، وصارت مصر وبلاد المغرب مملكة واحدة[٣].

وكانوا الخلفاء العباسية يحكمون من الفرات إلى بغداد وأعمالها، وسائر بلاد الشرق، وكان يخطب لكل خليفة منهما فى الجهة التى تحت حكمه باسمه فقط[٤].

ثم إن المعز رحمه الله استكثر من العسكر بمصر، فكانوا ما بين مغاربة وروم وبربر وكنانة وصقالبة، وكانوا لا يحصون عدد ذلك لكثرتهم، حتى قيل: لم يطأ الأرض بعد جيوش الإسكندر بن قلبش الرومى أكثر من عساكر المعز الفاطمى[٥].

ثم إنه بنى قصر الزمرد الذى بدار الضرب.

وكان جوهر القائد وزيره ومدبِّر مملكته، ثم إن جوهراً بنى جامع الأزهر فى سنة إحدى وستين وثلاثمائة، وكان من كبار الروافض، وكان ذا حرمة وافرة، أصلح ما أفسده من تقدم قبله من الأمراء، وزاد خراج مصر فى أيامه كونه أصلح القناطر والجسور والخلجان، وسد الترع، وأزال المظالم عن المزارعين وغيرهم.

ثم لما تولى المعز بمصر منع القبط من صب المياه على الناس فى يوم النوروز فى الطرقات، ووقود النار تلك الليلة، ومن النزول فى المراكب، وضرب الخيام على شاطئ

---

(١) فى الأصل: «قبلية» والمثبت رواية ابن أياس.

(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٨ .

(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٩١ .

(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٩١ .

(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٩١ .

البحر عند المقياس لأنه يحصل بسبب ذلك مفاسد عظيمة، فأبطل ذلك جميعه ونادى أن كل من فعل شيئًا من ذلك صُلب(١).

ثم بعد ذلك وقفت امرأة للمعز فى موكبه ذات يوم وأنشدت تقول:

تحطّمنا ريب الزمان كأننا
زجاج ولكن لا يُعاد له سبك(٢).

فقال لها المعز: من أنت؟ فقالت: أنا زوجة الأمير أبى بكر الإخشيدى صاحب مصر، فقال لها: ما حاجتك؟ فقالت: إنى [قد] أودعت بغلطاقا [لى] عند يهودى، فطالبته به فأنكره منى فقلت له: أظنه عقدًا، خذ لك ما تحتاج إليه من الجواهر ورُدَّ إلىَّ الباقى، فامتنع من ذلك(٣).

فطلبه المعز وسأله عن ذلك فأنكره، فأمر بشنقه، فلما تحقق الهلاك اعترف به ثم أحضره، وقد أخذ منه درهمين، فسئل عنهما فاعترف أنه باعهما بألف وستمائة دينار(٤).

وقد دفع المعز البغلطاق بما فيه من الجواهر للمرأة وصلب اليهودى(٥).

ثم إنها ملأت للمعز يدها من الجواهر فأبى أن يأخذ منها شيئًا وانصرفت وهى داعية له(٦).

وكان المعز رافضيا يبغض الصحابة ويسبهم يوم الجمعة على المنابر(٧).

وكان يميل إلى علم الفلك، فأخبره بعض المنجمين أن عليه قطعًا يوم كذا فى شهر كذا، وأشاروا عليه بأن يختفى فى مكان تحت الأرض حتى يمضى ذلك اليوم ويسلم من القطع، فاختفى فى سرداب تحت الأرض نحو أربعة أشهر(٨).

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٩٠.
(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٨.
(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٨ وما بين حاصرتين منه.
(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٨.
(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٩.
(٦) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٩.
(٧) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٩.
(٨) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٩١.

فلما طالت غيبته على العسكر، ظنوا أنه رُفع إلى السماء، فكان أحد العسكر إذا رأى الغمام فى السماء نزل عن فرسه وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، ولم يزالوا على ذلك حتى ظهر لهم وجلس على سرير ملكه(١).

ثم إنه كان له أخت تسمى سيدة الملك، توفّيت إلى رحمة الله فوجد عندها من الذهب العين ثلاثمائة صندوق، وخمس ويبات فصوص ياقوت، وغير ذلك من المعادن، ومدهن ياقوت زنته سبعة وعشرون مثقالاً لا يحصى ثمنه، وثلاثون ألف شقة حرير [ملون] وكانت مع هذه السعة أزهد الناس فى الدنيا لا تأكل إلا من غزلها حتى ماتت(٢).

واستمر المعز متوليا حتى مات، وكانت وفاته فى ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة وعمره ست وأربعون سنة(٣).

وهو أول خلفاء بنى عبيد الله بمصر، ودفن عند سيدى زين العابدين جد السيدة نفيسة فى تربته، وهى التربة التى بين الكيمان عند حدرة ابن قميحة، وكانت مدة ولايته بمصر ثلاث سنين(٤).

وكان رجلاً عاقلاً فصيحًا لبيبًا، ومن جملة شعره:

ما بان عُذْرى فيه حتى عُذِّرا
ومشى الدُّجَى فى خده فتحيَّرا
همت تُقَبِّلُه عقارب صُدْغِه
فاستلَّ ناظرُهُ عليها خنجرا(٥)

---

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٩١.

(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٩٦ وما بين حاصرتين منه.

(٣) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٧٧.

(٤) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٧٧ وقد تحرف فى الأصل مدة عمره وكذلك مدة ولايته بمصر والتصويب عن المصدر السابق.

(٥) الشعر ليس للمعز وإنما هو لابنه تميم بن المعز، وقد ورد محرفا فى الأصل واعتمدنا فى تصويبه على ما جاء بيتيمة الدهر ج١ ص ٢٩٢، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٣٠١.

[خلافة العزيز بالله أبى المنصور]

ثم مات المــعز وتولى من بعده ولده العــزيز بالله أبو المنصور نزار، بويع له بالخـلافة بعد موت أبيه المعــز سنة خمس وستين وثلاثمائة، وكان مولده بــمدينة القيروان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة[١].

ثم إنه لما استقر فى المملكة جعل جوهرًا القـائد مدبر مملكته، كما كان فى زمن أبيه المغز، وكان يحب العدل فى الرعية وينصف الـمظلوم من الظالم، وكان كريمًا جوادًا تحبه الجند والرعية، وصفا له الوقت.

واستقــر يعقوب بن كلس وزيرًا، ثم أنشد العزيز عـبد الله بن حسن الجعفـرى الشاعر يهنئه بالخلافة:

عــمت خلافــته مــصرًا فــصار بهــا
كــأنه الشمس فــيهــا حلَّت الحمــلا
إن المــعــز الذى لا خلق تشــبــهــه
إلا العــزيز ابنــه إن قــال أو فــعــلا
فــإن مضى كــافل الدنيــا فصــار لنا
من بعــده كــافــلاً يغنى بمــا فــعــلا
أضحت ملــوك بنى الدنيا له خــدمًا
ومــا حــوت كل دار منهم نقــلا[٢]

ثم إنه اتخذ عاملا على جميع جهات مصر نصرانيا يقال له: نسطورس.

واتخذ يهــوديا عاملا أيضًا على جــميع جهات دمــشق يسمى منشّاه، فجــدد كل عامل منهما مظالم كثيرة لم يعلم بها العزيز[٣].

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٢.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٢.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٦.

وركب يومًا وشق المدينة وزُينت لـه فجعلوا مبخرة وألبسوها ثياب [النساء] وأوقفوها وفى يدها قصة [على جريدة] بما أحدثه العـاملان من المظالم وفيهـا مكتوب: بالذى أعز النصارى بـنسطورس، وأعز اليهـود بمنشّاه، وأذل المـسلمين بك ألا مـا رحمـتهم وأزلت [عنهم] ظلامتهم؟[١].

فلما مر العزيز على تلك الصورة ظن أنها امرأة فـتناولها منها وقرأها، فأرسل من وقته وساعـته وصلب النصـرانى على باب القصـر، وأرسل لليهـودى بدمشق فصلبـه على باب المدينة وضبط جميع أموالهما[٢].

ثم حصل ريح سوداء، وغبار حار يأخـذ بالأنفاس من شدة الحرارة، فضج الناس من ذلك واستمر خـمسة أيام بلياليها، ثم انكشف ذلك الأمر عن الـناس حتى كأنه لم يكن بعد أن عاينوا الهلاك[٣].

وأصـيدت سـمكة بمـدينة تنيس فكان طولهـا ثمانيـة وعـشرين ذراعًـا ونصف ذراع، وعرضها خمسة عشر ذراعًا، وكانت فتحة عينها تسعة وعشرين شبرًا، ولها يدان طول كل يد ثلاثة أذرع، وعيناها كعين البقر، ولسانها كلسان الثور، وهى ملساء، ففتحوا بطنها وحشوها ملحًا، فكان قدره ما يزن[٤] إردبا [ثم] أرسلها نائب تنيس إلى العزيز حتى رآها وتعجب من خلقتها[٥].

وتنيس قريب من دمـياط، وكانت عامـرة مثمرة، حـتى أخذها الفرنج منهم واسـتولوا عليها، ثم بعد ذلك أطلقوا فيها النار وأحرقوها، ورحلوا عنها أيام الملك الكامل محمد بن أيوب فى سنة أربع وعشرين وستمائة.

[وفى أيام العزيز] ظهر السمك اللبيس [ببحر النيل] هرب من البحر المالح ودخل إلى البحر الحلو، وكذلك البلطى جاء من البحر المالح[٦].

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٦ وما بين حاصرتين منه.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٦.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٥.
(٤) لدى ابن إياس: «مائة إردب».
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٥ وما بين حاصرتين منه.
(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٥ وما بين حاصرتين منه.

ثم إن العزيز استمر فى الخلافة حتى مات فى شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة، وكانت مدة إقامته فى الخلافة بمصر [والقاهرة] إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وأيامًا(١).

وكان العزيز خيار بنى عبيد [الله] قاطبة(٢).

[خلافة الحاكم بأمر الله أبى على المنصور]

ثم تولى من بعده ولده الحاكم بأمر الله المنصور أبو على بن العزيز نزار بن المعز معد الفاطمى العبيدى.

[وهو] الثالث من خلفاء بنى عبيد [الله] بمصر، بويع بالخلافة بعد موت أبيه، يوم [الثلاثاء] سلخ شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة، ولد بالقاهرة يوم الجمعة سادس عشرين شهر جمادى الأولى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة(٣).

[فلما] تولى الخلافة أظهر العدل فى الرعية [وأخذ فى أسباب بناء الجامع المعروف به، وكان والده العزيز بنى أساس هذا الجامع، ولم يتمه، فأكمله ابنه الحاكم فعرف به، وكان انتهاء العمل منه فى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة](٤).

وأفرد لليهود حارة زويلة وأسكنهم فيها و [أمرهم أن] لا يخالطوا المسلمين، ثم أمرهم أن يدخلوا فى دين الإسلام فخافوا منه وأسلموا، ثم بعد ذلك أذن لهم بالعود إلى دينهم فارتد منهم فى يوم واحد أكثر من سبعة آلاف يهودى، ثم أمر بهدم كنائسهم ثم أعادها(٥).

ثم مرض جوهر القائد ومات، فوجدوا عنده ستمائة ألف دينار ذهبًا، وأربعة آلاف ألف

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٧ وما بين حاصرتين منه.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٧ وما بين حاصرتين منه.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٧ وما بين حاصرتين منه.
(٤) مكان ما بين الحاصرتين فى الأصل فيه نقص وتحريف وقد اعتمدنا فى تكملة النص وتصويبه على ما جاء ببدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٧.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٨ وما بين حاصرتين منه.

درهم فضية، وأربعة صناديق ملآنة من اللؤلؤ الكبار، وأربعة صناديق من اللؤلؤ والياقوت، وألف قصبة زمرد، وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج وغير ذلك، ودواة طولها ذراع مرصعة بالدر والياقوت، قيمتها اثنا عشر ألف دينار، ومائة مسمار ذهب، على كل مسمار منها عمامة لون، وثلاث آلاف ملعقة ذهب، وعشرة آلاف زبدية صينى، وأربع قدور [من] الذهب، كل قدر مائة رطل يطبخ فيها المسلوقة، وسبعمائة خاتم بفصوص، وثلاثة آلاف نرجسية ذهب وفضة لشرب الماء، وأما الخيل والبغال والحمير والنحاس والفرش والعبيد والجواهر والأملاك فلا يعلم لها عدد[1].

ولما مات دفن بالقرافة الكبرى.

ثم إن الحاكم بأمر الله لما توفى الأمير جوهر استمر الأمير برجوان عوضه فى الوزارة وهو صاحب الحارة المنسوبة إليه، وكان من أمر الحاكم ما كان، وكان لا يفعل شيئًا إلا بمراجعته[2].

وكان معه كالمحجور عليه، فلم يقدر الحاكم على ذلك فأرسل شخصًا قتل برجوان وهو خارج من الحمام[3].

وأحاط الحاكم على موجوده فوجد أكثر ما وجد لجوهر القائد مما ذكر وأضعاف أضعافه.

ثم لما قتله صار ما عليه يدٌ ثم طغى وتجبر وصار يفعل أفعال المجانين، فمنها: أنه مر يومًا على حمام الذهب الذى بمصر القديمة الآن فسمع ضجيجًا فسأل عن ذلك الضجيج فقيل له: ضجيج كثرة النسوة فى الحمام فأمر بسد الباب فسُد عليهن بالحجر الفص، واستمروا داخل الحمام إلى أن ماتوا جميعًا[4].

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٣ هذا والخبر الخاص بما وجد للأمير جوهر، أورده ابن إياس أثناء خلافة العزيز بالله.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٨.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٨.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٩.

ومنها: أنه منع الناس من بيع الزبيب، وأمر بحرق الكروم، فقطع فى يوم واحد ألف كرمة إلى مائة ألف كرمة[١].

ومنع من بيع العسل الأسود، فكسر منه فى يوم واحد اثنى عشر ألف مطرا[٢].

ومنع من أكل الملوخية وأكل القرع، وكتب قسمًا على الفلاحين أنهم لا يزرعون ذلك ولا يبيعونه لأن أبا بكر الصديق ﷺ كان يكثر من أكل ذلك، وأن عائشة ﷺ كانت تأكل ذلك، ثم إنه رأى جماعة يأكلون الملوخية فقبض عليهم وضربهم بالسياط، وطاف بهم فى القاهرة، وأمر بضرب رقابهم[٣].

ونهى عن بيع السمك الذى لا قشر له، ونهى عن بيع الرطب، ونهى عن زرع الترمس، وأمر بقتل الكلاب، فقتل فى يوم واحد ثلاثين ألف كلب[٤].

وأمر بوقد الشمع [فى مجلسه] ليلا ونهاراً، ثم إنه صار يجلس فى الظلام [مدة طويلة] وأمر بغلق الأسواق نهاراً وفتحها ليلاً، وجعل النهار مقام الليل والليل مقام النهار، واستمر الناس على ذلك زمانًا طويلاً[٥].

ثم إنه مر على شيخ يعمل فى النجارة بعد العصر فقال له: يا شيخ، أما نهيتك عن العمل بالنهار؟ فقال له: يا أمير، أليس كانوا يسهرون بالليل، وهذا من جملة السهر، فتبسم وتركه، ثم عاد الناس على ما كانوا عليه [فى الأول] يتقاضون أشغالهم بالنهار[٦].

وكان يسب الصحابة ويكتب ذلك على أبواب المساجد والجوامع، ثم محاه بعد ذلك[٧].

وهدم قمامة[٨] وبنى مكانها مسجداً ثم أعادها على ما كانت عليه[٩].

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٩.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٩.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٩.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٩.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٩ وما بين حاصرتين منه.
(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٠ وما بين حاصرتين منه.
(٧) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٠.
(٨) ابن خلكان مفسرا وموضحا: «أمر بهدم الكنيسة المعروفة بقمامة».
(٩) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٠.

وكان يبنى المدارس ويرتب فيها المشايخ والصوفية ثم يقتلهم ويهدم المدارس(١).

وكان يعاقب خواصه بسلب الألقاب، فإذا غضب على أحد سلب لقبه مدة طويلة لا يدعوه بلقبه، ويستمر حزينًا كئيبًا حتى يرد له لقبه، فيكون ذلك اليوم عيدًا(٢).

وأمر اليهود إذا خرجوا إلى الأسواق [أن] يجعلوا فى أعناقهم قرامى خشب، كل قرمة زنتها خمسة أرطال، والنصارى [بأن يضعوا] فى أعناقهم صلبان حديد، كل صليب زنته أربعة أرطال، وطوله ذراع، [وأن] يلبسوا المآزر المصلبة، ولا يركبون أصلا، ثم أعادهم على ما كانوا عليه(٣).

[ثم إنه أمر الناس] إذا ذَكَر الخطيبُ اسمَه على المنبر يوم الجمعة يقوم الناس له إجلالا وتعظيمًا، حتى فعل ذلك فى الحرمين الشريفين وفى بيت المقدس(٤).

وكان يلبس جبة من صوف بيضاء ويركب على حمار أشهب يسمى القمْر، ويطوف [أسواق] مصر والقاهرة، ويباشر حسبة البلد، فمن رآه غش فى بضاعته يأمر عبده الذى يمشى قدامه، اسمه مسعود، عبد أسود طويل يفعل فى ذلك الشخص الفاحشة العظمى، وهى اللواط، والناس ينظرون إليه حتى يفرغ، والحاكم قائم على رأسه(٥).

وأبطل صلاة التراويح مدة طويلة، نحو عشرين سنة، ثم أعادها(٦).

وكان يحب العلماء ثم يقتلهم بعد ذلك، منهم [أبو] أسامة كان من أكابر العلماء، ومنهم جنادة(٧) اللغوى، قيل: كان يعرف للكلب ثلاثمائة اسم فى لغة العرب، ومنهم الهروى وغيره(٨).

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٠.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٠.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٠ وما بين حاصرتين منه.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٠ وما بين حاصرتين منه.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠١ وما بين حاصرتين منه.
(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠١.
(٧) الأصل وبدائع الزهور: «جبارة» وصوابه لدى ابن خلكان ج ١ ص ٣٧٢.
(٨) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠١ وما بين حاصرتين منه.

وكان عنده شـجاعـة عظيمة وإقـدام، وكرم وبخل، وظلم وجـور، وعدل فى الرعـية ويتبعه بسوء[١].

ونادى فى الناس أن لا أحد يغلق بابه ولا حـانوته وكل من ضاع له شىء فغـرامته فى درك الحاكم، فتركوا ذلك مفتوحين[٢].

وأخذوا للناس فى ليلة واحـدة أربعمائة عملة، وأصبح الناس يسـتغيثون به، فـأحضر صنمًا كان عنده يسمى أبو الهول، فكان كل من ضاع له شىء يجلس بين يديه ويقول له: يا أبا الهول [قد] ضاع لى كذا وكذا، فيقول له شخص من داخل الصنم[٣]: إن ضائعك أخذه فلان [بن فلان] ووضعـه فى المكان [الفلانى فى الحـارة الفلانية، فيـرسل الحاكم بعض غلمانه إلى ذلك المكان فيحضر الضائع بعينه فيسلمه إلى صاحبه] ثم لا زال على ذلك حتى رد جميع ما ضاع لأربابه[٤].

ثم صلب اللصـوص وعـادت الناس فى أمـان ينامـون فى بيـوتهم وأبوابهم مـفـتّحـة وحوانيـتهم كذلك لـم يسرق لهم شىء، حتى إذا وقع من أحـد درهم يستـمر فى مكانه لا يجسر أن يأخذه أحد حتى يأتى إليه صاحبه فيأخذه، ثم ينادى رحم الله من اعتبر بغيره[٥].

وقيل: إنه وقع من شخص كيس فيه ألف دينار عند باب جامع ابن طولون واستمر فى مكانه أسبوعًا كاملاً لم يجسر أحد على أخذه حتى يمرّ به صاحبه فيأخذه.

واستمر ذلك الصنم عـند الحاكم حتى جاء لص ليلة من الليالى وسرقـه وكسره قطعًا، فوجد فيه شخصًا لطيفًا فكسره، فمن ذلك اليوم لم ينطق أصلاً وبطل فعله[٦].

ولم يكن من محاسن الحاكم سوى هذه الـحكاية، وهى أن شخصًا أودع عند شخص آخر جرابًا فيه ألف دينار، وسافر عنه، ثم حضر وطلب جرابه فأنكره الرجل.

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠١.

(٢) من الأساليب الشائعة فى عصر المؤلف، وترك كما هو للدلالة على لغه العصر.

(٣) عبارة ابن إياس: «فيقول الروحانى الذى فى جوف الصنم».

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٢ وما بين حاصرتين منه.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٣.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٣.

فتوجه ذلك الرجل وشكا أمره إلى الحاكـم، فقال له الحاكم: إذا أصبحت اجلس فى الطريق حـتى أمر عليك، فـإذا رأيتنى فقم وامش مـعى وحدثنى حـديثًا طويلاً وأنا أصـغى إليك.

قال: فلما أصبح ذلك الرجل جلس فى الطريق ينتظر الحاكم حتى رآه فقام إليه ومشى معـه وصار يحـدثه حديثًا طويلاً وهو يسـمع حديثـه، وكان صاحـبه الذى أودعـه الجراب ينظره.

فلما رجع إلى بيـته أحضـر له ذلك الجراب مخـتومًا كمـا أعطاه له، فتوجـه صاحب الجراب إلى الحاكم وأعلمه بأحواله، فقال: خذ جرابك وتوجه إلى حال سبيلك، فانصرف بجرابه، ثم أصبح فوجد الرجل مصلوبًا على بابه والناس يـتعجبون من أمره، وكيف صُلب ذلك الرجل[١].

ثم وقع فى أيامه غلاء عظيم فـاستغاثوا[٢] الناس من ذلك إليه، فـوقفوا تحت قـصره وشكوا له فقال لهم: إذا كان الغد أنا أركب، وكل مكان أجـده خاليًا من القمح فأنا أصلب صاحبه أو أضرب عنقه[٣].

ثم إنه ركب أول النهار وتوجه إلـى جامع راشدة إلى مصر، فلم يجـد مكانًا خاليًا من القمح، فاطمأنوا الناس وشبعوا، وزال الغلاء بأمر الله تعالى[٤].

ثم إنه أمر أن لا أحد يدخـر فى بيته غير مـا ينفقه من القوت، وقـرر للناس أسعارًا لا تزيد ولا تنقص، فلم يقدر أحد يزيد فى الأسعار ولا ينقص[٥].

وكان فى زمـانه قاض يسـمى النطاح، وله طرطور وفيـه قرنان من قرون البـقر يضـعه بجانبه، فإذا أتاه خصـمان يتحاكمان عنده، فيلبس ذلك الطرطور ويسـمع قولهما، فإذا رأى

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٣.
(٢) أبقيت على بعض هذه التعبيرات فيما سبق وفيما يلى للدلالة على سمات الكتابة فى ذلك العصر.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٥.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٥.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٥.

أحدهما جار على صاحبه فينطحه فيدمى رأسه وينصر صاحبه، فيستمر ذلك الرجل يداوى رأسه مدة طويلة، فاشتهر من ذلك القاضى من ذلك اليوم(١).

وبلغ الخبر إلى الحاكم فأرسل خلفه، فقال له: ما هذه الأحوال [التى] بلغتنى عنك؟ ما هو كذا وكذا؟ وقد صرت بهذه السيرة شنيعًا ومثلا بين الناس! فقال له: يا أمير المؤمنين، أشتهى عليك أن تختفى وتحضر مجلسى لتنظر ما أقاسيه من التعب من الأخصام، فإن رأيتنى معذورًا فى ذلك وإلا عاقبنى بأشد العقوبة(٢).

فوافقه أن يحضر مجلسه مختفيًا وينظر ما يقع، ثم إن الحاكم اختفى وحضر إلى مجلس القاضى، ثم جلس القاضى وجلس الحاكم خلف ستارة لينظر الأحوال، فجاء خصمان وقفا بين يدى القاضى، فادعى أحدهما على الآخر بمائة دينار فاعترف له بها، فأمره القاضى بالدفع فقال له: أنا معسر قسِّط علىَّ المبلغ على قدر حالى، فقال له القاضى: قسِّطوا عليه فى كل شهر عشرة دنانير، فقال المديون: لا أقدر على ذلك، فقال القاضى: تكون خمسة، فقال: لا أقدر، قال: تكون دينارين، قال: لا أقدر، قال: دينار، قال: لا أقدر، قال عشرة دراهم فى كل شهر، قال: لا أقدر، فقال القاضى: تقدر على ماذا؟ قال: أقدر على ثلاثة دراهم فى كل سنة، بشرط أن يكون خصمى فى السجن لئلا يحصل معى هذا القدر ولم أجد خصمى، فيذهب منى(٣).

قال: فقال له الحاكم: أنت تنطح الخصم المتمرد كم نطحة؟ فقال القاضى: مرة واحدة، فقال له الحاكم: انطحه مرتين، وإلا انطحه مرة وأنا أنطحه مرة(٤).

وكان الحاكم أحمق فنطحه مرة والقاضى مرة، ثم انصرف عنهم وعذر القاضى(٥).

ثم إن الحاكم تزايد أمره فى الظلم والجور واستخف بأهل مصر حتى أنه ادعى الربوبية من دون الله، مثل فرعون.

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٥.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٦ وما بين حاصرتين منه.

(٣) عبارة الأصل: «بشرط أن يكون خصمى مسجونًا لأنى أخاف إذا حصلوا معى يضيعون منى إن لم أجده» والمثبت رواية ابن إياس ج١ ق١ ص ٢٠٦.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٦.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٦.

وكان إذا مر فى الطرقات يقال له: يا واحد يا أحـد، يا محيى يا مميت، وبعض جهال العوام يسجدون له من دون الله تعالى، كلما رأوه، ومن لم يفعل ذلك ضرب عنقه[١].

ثم كان يرسل بعض نسوة إلى بيـوت الأمراء يستمعون ما يـقع من الأحوال ويحضرون إلى الحاكم فيخـبرونه بذلك، ثم يصبح الحاكم فيقول: يا فـلان أنت عملت فى بيتك كذا وكذا، وأنت يا فلان وقع لك كذا وكذا، حتى أنهم يتعجبون من ذلك[٢].

ثم إنه أفهمهم أنه يعلم الغيب، فكتب له بعض الحذاق رقعة مكتوب فيها، يقول:

بالجـــور والظلـم قـــد رضـــينا
وليس بـالكفـــر والحـــمـــاقـــهْ
إن كـنت تـدعى عـلم غــــيـــب
بيِّـن لنـا كـــاتـب البـطاقـــــهْ

قال: فلما قرأ ذلك رجع عما كان فيه وما يدعيه من علم الغيب[٣].

ثم إن الفاطمية كانوا يدعون أنهم من نـسل فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأثبتوا لهم نسبًا فاسـدًا وهو غير صحيح، وإنما هم مـن ولد ديصان بن سعيد، وكان مـجوسيًا ووافق على ذلك جـمـاعـة من العلمـاء منهم أبو حـامد الإسـفـراييني، وأبو الحـسن القـدورى وغيرهم[٤].

ودعواهم أنهم أفضل من الخلفاء العباسيين غير صحيح[٥].

واستمر الحاكم فى تماديه على الظلم والجور والكفر حتى أن اخته ست النصر قال لها جماعة: أخـوك يريد قتلك، فلما تحققت ذلك منه قامت وتوجـهت إلى بيت الأمير سيف الدين بن دواس، وكان أكبـر أمراء الحاكم، فلما دخلت عليـه قالت له: أنا أخت الحاكم، فقام لها وعظمها وأجلسها فى صدر المكان وأكرمها[٦].

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٧.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٨.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٨.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٨.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٨.
(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٩.

ثم قالت له: قد علمت مـا فعل أخى بالمسلمين وأنت سـاكت! ثم إنه عزم على قتلى وقتل غيرى، فقال لها: كـيف الحيلة فى قتله؟ قالت له: إذا توجه إلى حلوان أرسل خلفه منَ يقتله هناك، وأنت تكون مدبر المملكة، وولده مكانه، ثم مضت إلى قصرها[١].

فلما أصـبح الصبـاح ركب الحاكم حمـاره الأشهب، وتوجه علـى عادته إلى حلوان، فأرسل الأمير سيف الدين خلفـه عشرة عبيد سود، ودفع لكل عبـد منهم خمسمائة دينار، وعرَّفهم كيف يقتلون الحاكم، قال: فتبعوه[٢] العبيد إلى حلوان، فلمـا وصل إليها خرجوا عليه وقتلوه فى المقصبة التى هناك[٣].

ثم لما أبطأ خبر الحاكم على العساكر ركب الأمير مظفر الحاجب، ومعه بعض العساكر وتوجه إلى المكان الذى كان الحـاكم يتوجه إليه، فوجدوا حمـاره الأشهب مقطوع اليدين والرجلين وعليه السرج واللجام.

فلما رأوا ثيابه[٤] ملطخة بالدم علموا أنه قُتل، فرجعوا وأشاعوا قتله، فكانت قتلته فى شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة، وكانت مدة خلافته خمسًا وعشرين سنة وأيامًا[٥].

وأهل مصر صابرون على أذاه حتى فرَّج الله تعالى بموته.

[خلافة الظاهر لدين الله على بن المنصور]

ثم تولى من بعده ابنه الظاهر لدين الله على بن منصـور بن نزار بن المعز [معد وهو] الرابع من الخلفاء العـبيدية الفاطمـية، بويع له بالخلافة فـى شهر شوال سنة إحـدى عشرة وأربعمـائة، وكان عمره ست عـشرة سنة، وصارت عمـته ست النصر أخت الحاكم قـائمة بأمور دولته هى والأمير سيف الدين بن دواس[٦].

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٩.
(٢) كذا والقاعدة (فـتبعه العبيد) وجـاء هذا على لغة (أكلونى البراغيث)! وقد مـر هذا الأسلوب كثيرا وسوف يأتى بعد كذلك.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٩.
(٤) أى ثياب الحاكم.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٠.
(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١١وما بين حاصرتين منه.

ثم توفيت أخت الحاكم وتركت موجودًا لا يحصى ولا يعد[١].

وفى أيامه وردت الأخبار من مكة بأن جماعة من الأعاجم وصلوا إلى مكة بسبب التجارة، ثم غافلوا الناس ودخلوا الحرم فى وقت القيلولة وجاءوا إلى الحجر الأسود فقلعوه وكسروه ثلاث قطع، فمسكوهم[٢] الناس وأخذوه منهم، ثم أعادوه مكانه وقطعوا أيديهم وصلبوهم على أبواب الحرم[٣].

ثم إن القبط كان لهم عادة أن يجتمعوا ليلة الحادى عشر من شهر طوبة، ويسمونها ليلة الغطاس، يغطس القبط والمسلمون فى تلك الليلة فى أيام الشتاء تجاه المقياس، وتنصب هناك الأسِرَّة لأعيان القبط ورؤسائهم، ويصرف تلك الليلة نحو مائة ألف دينار فى مأكل ومشرب وآلات الملاهى وتحصل مفاسد عظيمة لا توصف[٤].

وتوقد الفوانيس والشموع وتمتلئ المراكب بالناس حتى أن البحر لا يُرَى، ولا يُغلَق حانوت ولا باب من الأبواب، وذلك من الأمن والأمان، ويعتقدون أن كل من غطس فى تلك الليلة يأمن من المرض طول سنته[٥].

فلما وقع ذلك فى أيام المعز وأطلع على ذلك الحال والمفاسد نادى بإبطال ذلك.

وتم بطالاً إلى أيام ولده الظاهر لدين الله، فأمر بإعادة ذلك ففعلوا واطلع عليه واستمروا على ذلك إلى وفاته[٦].

فتوفى رحمه الله يوم الأحد خامس عشر شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة، وأقام متوليًا بمصر خمس عشرة سنة وتسعة أشهر[٧].

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١١.

(٢) كذا وشبيه به ما ورد لدى ابن إياس فى الموضع المماثل: «فأدركوهم الناس» وقد سبق التعليق على مثل هذه التعبيرات.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٢.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٢.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٢.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٣.

(٧) أخبار الدول المنقطعة ص ١٣٩.

[خلافة المستنصر بالله أبى تميم]

ثم تولى من بعده ولده المستنصر بالله، أبو تميم، الخامس من خلفاء بنى عبيد الله الفاطمى.

بويع له بالخلافة يوم الأحد خامس عشر شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة، وخطب له على منابر بغداد، مع وجود خلفاء بنى العباس، وهذا لم يقع لأحد من أقاربه من خلفاء بنى عبيد الله، ثم إنه استقر بالحسن بن على اليازورى وزيراً، وهو الذى جمع بين الوزارة، وقضاء القضاة الشافعية، ولم يقع هذا لأحد قبله من الوزراء[١].

[ثم إن المستنصر قبض على أبى نصر الفلاحى الوزير واعتقله بخزانة البنود، وأحاط على موجوده، ثم قطع رأسه، ودفنها بخزانة البنود، وكان الذى رافع فى أبى نصر الفلاحى شخص يسمى ابن الأنبارى.

فلما مضى الفلاحى أقام ابن الأنبارى بعد قتل الفلاحى مدة يسيرة وقبض عليه المستنصر، واعتقله بخزانة البنود، ثم إن المستنصر أمر بقطع رأس ابن الأنبارى، فلما أرادوا أن يحفروا له حفرة ليواروه فيها، ظهر لهم فى الحفرة رأس فسألوا ابن الأنبارى عن هذه الرأس لمن هى؟ قال: هذه رأس أبى نصر الفلاحى، وأنا قتلته، ودفنت رأسه هنا، فلما أرادوا قطع رأس ابن الأنبارى، أنشد يقول:][٢]

رُبَّ لحد قد صار لحداً مراراً
ضاحكًا من تزاحم الأضداد[٣]

والمجازاة من جنس العمل.

ثم وقع فى زمن المستنصر غلاء عظيم يعادل الغلاء الذى وقع فى زمن السيد يوسف،

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٥.
(٢) مكان ما بين الحاصرتين فيه تحريف وسقط فى الأصل، وقد اعتمدنا فى تكملة النص وتصويبه على ما جاء ببدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٥ - ٢١٦.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٥ - ٢١٦.

عليه السلام، فأقام الغلاء سبع سنين متوالية، والنيل لم تصل زيادته إلى أكثر من اثنى عشر ذراعًا، وأحد عشر إصبعًا.

ثم إن الناس أكل بعضهم بعضًا، وأبيع الإردب القمح بثمانين دينارًا، ثم اشتد الأمر حتى أبيع كل إردب بمائة وعشرين دينارًا، ثم أبيع كل رغيف فى زقاق القناديل بخمسة عشر دينارًا.

وبعض الناس أكل الميتة والكلاب والقطط، حتى أن الكلب أبيع بخمسة دنانير والقطط كذلك[١].

وكان الكلب يدخل الدار يجر الولد من المهد فيأكله بحضرة أبيه وأمه، وهما ينظران إليه، وليس لهما قدرة على القيام يدفعانه عنه من عدم القوة وشدة الجوع، حتى صار الرجل يأخذ ولد جاره فيذبحه ويأكله، وإذا قوى الرجل القوى على الضعيف فيذبحه ويأكله[٢].

وصارت الناس يجلسون على السقائف وبأيديهم حبال وكلاليب، فإذا مر أحد من الناس اختطفوه بتلك الكلاليب إلى عندهم فيذبحونه ويأكلونه بعظامه[٣].

ثم وقع أن الخليفة كان له وزير فطلبه إلى عنده فركب بغلته وأتى إلى الخليفة، وترك البغلة عند نزوله بالباب، فأخذوها فذبحوها وأكلوها، فلما علم بذلك أرسل إليهم جماعة فمسكوهم وشنقوهم وعلقوهم على الخشب، فأصبحوا فلم يجدوا إلا عظامهم[٤].

قال المسبحى: كان بمدينة الفسطاط حارة تسمى حارة الطبق [وكان فيها نحو عشرين دارًا] كل دار ثمنها ألف دينار، فابتاعوا تلك الدور كلها بطبق خبز، كل دار برغيف[٥].

وحكى الشيخ أبو الفرج بن الجوزى أن امرأة كان عندها ربع لؤلؤ فباعته بربع دقيق

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٦.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٦.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٧.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٧.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٧ وما بين حاصرتين منه.

بعد جهـد كبير، وكان الدقـيق ثلثه نخالة، وثلثه دقـيق، وثلثه سوس، وكانت قـيمة اللؤلؤ عشرة آلاف دينار.

فلما أخـذت الدقيق وتوجهت به إلى بيـتها فأحـسوا بها الناس فتـبعوها ونهبـوه منها، فأخذت مـنه بجملة الناس ملء يديها، فلمـا وصلت إلى بيتها عـجنته رغيفـا وجاءت به إلى الفرن فلمـا خبزته نهبوه منهـا، فلم يحصل له منها إلا لقـمة واحدة، فأكلت اللقـمة، فلما وصلت اللقمة إلى جوفها سقطت ميتة[١].

وكذلك الذى أخـذ اللؤلؤ لم يجد من يشتـريه فألقاه فى الطريق، فلم يجـد من يأخذه وصار كل واحد مشغول بنفسه[٢].

ثم إن امرأة وقفت تحت قصر الخليفة ونادت بأعلى صوتها: يا أهل القاهرة [ومصر]، ادعوا بالنصر لمولانا الخليفة الذى لم يجد الناس فى زمنه الخبز[٣].

فلما سـمع ذلك طلب الوزير والحاجب وأوعـدهما بالقـتل، فصارا يكـبسون البـيوت والأفران على القمح والدقيق وكثر للناس الخبز[٤].

ثم حصل من بعد ذلك فناء عظيم، ذهب ثلث أهل مصر[٥].

ثم رفع الغلاء والعناء وانصلح الحال بإذن الله تعالى.

واستمر الخليفة متوليًا حتى مات يوم الخميس عاشر شهر ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة، ومات وله من العمر نحو ثمان وستين سنة.

وتولى الخلافة وعمره سبع سنوات، وأقام فى الخلافة نحو ستين سنة، وما تولى أحد من الخلفاء الفـاطمية والعـباسيـة ومكث فى الملك قدره، وقاسى مـشاق لا تطاق فى هذه المدة[٦].

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٧.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٧.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٨ وما بين حاصرتين منه.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٨.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٨.
(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٠.

[خلافة المستعلى بالله أحمد]

ثم تولى من بعده ابنه أحمد المستعلى بالله.

وهو السادس من الخلفاء الفاطمية بنى عبيد الله، وقع فى أيامه أن الفرنج استولوا على بيت المقدس وملكوه وقتلوا جماعة من المسلمين، وأسروا ألف مسلم، وأخذوا من قبة الصخرة نحو أربعين قنديلاً ذهبًا زنة كل قنديل ألف درهم واستمروا مالكين ثلاث سنوات[١].

وكسفت الشمس [فى أيامه] وأظلمت الدنيا إلى آخر النهار، وظهرت النجوم بالنهار ثم انجلت[٢].

ومرض الخليفة ثم مات.

[خلافة الآمر بأحكام الله أبى على منصور]

وتولى من بعده ولده الآمر بأحكام الله أبو على منصور ابن المستعلى بالله.

وهو السابع من الخلفاء الفاطمية بنى عبيد الله، لما تولى الخلافة طاش وسار سيرة قبيحة، وتلاهى بشرب الخمر والفساد، حتى ملكوا الفرنج عكا وطرابلس ونابلس، وغير ذلك من البلاد واستولوا عليها.

ثم قصدوا المجىء إلى الديار المصرية وكان ملكهم بردويل[٣].

فلما وصل إلى العريش مرض [هناك] مرضا شديدًا، ومات [بالعريش] وأخفوا موته، ثم إنهم شقوا بطنه وأخرجوا مصارينه ودفنوها بالعريش[٤].

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٠.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢١ وما بين حاصرتين منه.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢١ - ٢٢٢.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٢ وما بين حاصرتين منه.

ثم ظهـر ذلك للناس فصـار كل من [مرَّ] بذلك المكان يرجـمه، وصـار ذلك المكان يعرف بـسبخـة بردويل، وأما جـثتـه فحـملوها إلى القمـامة التى ببـيت المقـدس ودفنوها هناك[(١)].

ووقع فى أيامه غلاء عظيم، حتى وصل القمح كل أردب إلى ثلاثين دينّارا، ثم تراجع الأمر بسياسة الوزير البطائحى، فإنه كان مدبراً تدبيراً لم يدبره غيره فى الوزراء.

ثم فى سنة خمس عشـرة وخمسمائة ابتدأ بعمـارة المسجد[(٢)] الذى بسوق مـرجوش، وسماه بالجامع الأقـمر، أصرف عليه مالاً له صورة وجعل له صهـريجًا له سرداب يملأ من الخليج الحاكمى.

ثم إن الخليفة قبض على الوزير المأمون البطائحى وقتله، واستولى على جميع أمواله وما عنده من نقـد ومصاغ وقمـاش ومعادن وخيـول وفرش ومماليك وعـبيد وجوار وغـير ذلك، وستمائة ألف دينار وأكثر.

ثم إنه لم يقم الخليفـة بعد الوزير إلا أيامًا قلائل، وقتل فى بر الروضـة، فحملوه إلى القاهرة ودفنوه[(٣)] فيها.

فكانت مدّة ولايته تسعًا وعشرين سنة، وشهرين[(٤)].

[خلافة أبى الميمون عبد المجيد الحافظ لدين الله]

ثم تولى من بعده أبو الميمون عبد المجيد الحافظ لدين الله ابن المستنصر [بالله].

وهو الثامن من الخلفاء الفاطمية بنى عبيد الله [الفاطمى][(٥)].

(١) الدول المنقطعة ص ١٦٠، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٢.

(٢) يقول القلقشندى: بـناه الآمر الفاطمى بوساطة وزيره المأمـون بن البطائحى، وكمل بناؤه فى سنة تسع عشرة وخمـسمائة، وذكر اسم الآمر والمأمون عليه، ويقع هذا الجـامع بشارع المعز لدين الله فى القسم الذى كـان يعرف باسم شارع النحـاسين، انظر صبح الأعـشى ج ٣ ص ٣٦١، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٧٣، المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٩٠، الخطط التوفيقية ج ٢ ص ٨٦.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٣.

(٤) الدول المنقطعة ص ١٦٠، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٤.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٤ وما بين حاصرتين منه.

بويع له بالخلافة بعـد قتل الآمر بأحكام الله، وكان الحافظ لدين الله رجـلاً حليمًا لين الجانب، قليل الأذى، فطمعت فيه الرعية والفلاحون وامتنعوا عن وزن الخراج، واستولت الفرنج على البلاد وكثر الفساد(١).

ثم جاء إلى مصر فى أيامه الشيخ أبو عبد الله الأندلسى من المغرب، وكان له يد طائلة فى علم السـيمـياء، ثم لمـا سمع به الحـافظ أحضـره بين يديه، وقال له: أرنـا شيئًـا من علمك، فامتنع من ذلـك، فألح عليه فى ذلك [فقال له: غمِّض عينك وافـتحها، فغمَّض عينه وفتحها فرأى سـاحة القصر كأنها لجة ماء وفيها سفينة كبـيرة، وحولها شوانى حربية، فوقع بينهما الحرب والقتال، فكانت السـيوف تلمع والقسى ترمى بالسهام، والبنود تخفق، والرءوس تهدر، والدماء تسيل، فلا يشك الناظر فى حقـيقة ذلك، ثم إن أصحاب السفينة، سلموا إلى أصحـاب الشوانى، فساروا بهـا والطبول تضرب، والبوقات تـزعق، حتى غابوا عن الأبصار، ثم ذهبت تلك الـلجة التى كانت فى القـصر، وعاد كمـا كان](٢)، والحافظ ينظر ويتعجب فى ذلك غاية العجب، فقال العسكر للحافظ: اقتل الشيخ، وإلا يفسد عليك عقول العسكر، فـقال الحافظ للشيخ: إن العسكر يريدون قتلك، فانظر مـاذا تفعل معهم؟ فقـال الشيخ للحافظ: مرهم أن ينصـرفوا إلى بيوتهم، فـأمرهم بالانصراف، فلما خـرجوا ليركبوا خيولهم وجدوها كالأثوار العظيمة، وكل ثور له قرنان عظيمان، فلم يستطع أحد أن يركب دابته، قال: فرجعوا إلى الحافظ وأخبـروه بذلك، فقال لهم الحافظ: أفدوا خيولكم كل واحد بشىء يعطيه للشيخ، فإنه يعيدها لكم، فـأعطوه كل واحد منهم مبلغًا فرجعوا إلى خيولهم فوجدوها خيلا كما كانت(٣).

وقيل: إن الحافظ كـان يشتكى بألم القولنج، فصنع له الحكيم شـيرما الديلمى، طبل باز من سبعة معادن وعليه رصد، فإذا حصل لأحد قولنج فيدق عليه فيخرج منه ريح غليظ

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٤.
(٢) النص فيه تحريف وسـقط فى الأصل، وقد اعتمدنا فى تكملة النص وتصويبـه على ما جاء ببدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٥.
٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٦.

فيبرأ لوقته، فكان ذلك بسبب الخـليفة، فكان إذا تحرك عليه القولنج يدق على ذلك الطبل باز، فيخرج منه ريح فيبرأ(١).

قيل: لمـا تولى صلاح الدين يوسف بن أيوب استعـرض حواصل الخلفاء الفاطـمية، فوجد ذلك الطبل باز فى علبة، فأخذه بعض الأكراد، وضرب عليه فضرط وخرج منه ريح فسمعوه الناس فخجل واستحيا وأرمى الطبل فى يده [على الأرض] فانكسر وبطل فعله من ذلك اليوم، فندم على كسره صلاح الدين يوسف غاية الندم(٢).

ثم مرض فى جمادى الآخـرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وكانت مـدّة خلافته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر(٣).

[خلافة الظافر بالله أبى المنصور إسماعيل ابن الحافظ ابن المستنصر بالله]

ثم تولى من بعده ولده الظافر بالله.

وهو التاسع من الـخلفاء الفاطمـية بنى عبـيد الله، تولى الخـلافة، وهو شاب جـميل الصورة، وكان له من العمر سبع عشرة سنة(٤).

وهو الذى بنى جامع الفكاهين بالشوّائين.

فلما تولى اشتغل باللهو والطرب وشرب الخمر، وكان وزيره عباس مدبر المملكة، ثم إنه كان للوزير عباس ولد جميل الصورة فامتـحن به الخليفة وأحبه حبًا شديدًا، فكان ينزل إلى بيتـه وينام عنده، حتى أنه أعطى الولد فى وقت واحد ذهـبًا وفضة وقـماشًا وفصـوصًا ومعادن ونوافج مسك وخيلاوعبيدا وغير ذلك بنحو مائة ألف دينار(٥).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٦.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٦ وما بين حاصرتين منه.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٦.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٧.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٧.

ثم إن الوزير وولده قتلا الظافر بالله وألقوه فى بئر تحت الليل، فلما أصبح الصباح سأل الوزير من الخدام حيلة، وقال لهم: أين الخليفة، فقالوا له: اسأل ابنك نصراً عنه[١].

[خلافة الفائز بنصر الله]

ثم دخل الوزير إلى قصر الخليفة فأخرج الأمير عيسى ابن الظافر وأحضر القضاة وقال لهم: إن الخليفة قد نزل البارحة فى مركب يتفرج فانقلبت به المركب فغرق، ولم يعلم له مكان.

ثم أحضروا للأمير خلعة سنية وألبسه إياها وولاه مكان أبيه ولقبه الفائز بنصر الله[٢].

فلما أشيع بين العسكر أن الوزير عباسًا قتل الظافر وولى ولده، انقلبوا العسكر على الوزير عباس واستمر الفائز متوليًا بمصر مكان أبيه، فخاف من الوزير عباس كون أنه سمع من العسكر أنه قتل أبيه، فاتفق الفائز مع جماعة أبيه أنه يقتل الوزير عباسًا وولده نصراً، وقالوا: إن لم تقتله وإلا قتلك أنت الآخر مثل ما قتل[٣] أباك.

فسمع الوزير عباس بذلك ففتح الخزائن وأخذ منها ما قدر على حمله من نقد وجواهر وغير ذلك، وأخذ ولده نصراً وهرب إلى جهة الشام، فخرجوا عليه جماعة من الفرنج فأخذوه وولده وجميع ما كان معهما من الأموال[٤].

ثم جاءت الأخبار بذلك، فأحاط الخليفة على جميع موجودات الوزير عبّاس، وأخذ ذلك كله.

ثم ولّى شخصًا وزيراً يسمى طلائع بن رزيك، عوضًا عن عباس المذكور، ولقّبه بالصالح بالله، وأخلع عليه وأطاعته جميع العساكر، وكانت سيرته حسنة وأحبوه حبًا شديداً، ثم بنى جامع الصالح الذى بباب زويلة[٥].

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٨.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٨.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٩.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٩.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٩.

وكانت الوزراء تتلقب بألقاب الخلفاء[١].

ثم أرسل إلى طائفة الفرنج الذين أخذوا الوزير يطلبه منهم، فأرسل إليهم هدية عظيمة فقبلوها منه، وأرسلوا له الوزير عباسًا وولده نصرًا فى الحديد، فلما وصلا إلى القاهرة كان لهمـا يوم عظيم لم ير مثله، فأمـر بصلبهمـا على باب القصر، فصُـلبا بعد العصـر، وأخذ الخليفة بثأر أبيه[٢].

ثم فى أيام الفائز[٣] نقلت رأس الحسين من عسقلان إلى القاهرة فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وسـبب نقلها أن الفرنج لما استولوا على عسقـلان خاف المسلمون على رأس الحسين فجعلوها فى علبة وأحضروها إلى القاهرة، فبنى الفائز المشهد ودفنوها فيه[٤].

ثم إن الفائز عـرض عسكره ذلك اليوم نحـو خمسـين ألف مقاتل مـختلفى الأجناس، وعدة المراكب عشرة آلاف مركب للقتال مـشحونة بالرجال والسلاح بسبب الجهاد، وذلك مع تلاشى الخلفاء الفاطمية وضعف شوكتهم.

واستمر الفائز متوليًا بمصر حتى مرض ومات يوم الجمعة سابع شهر رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة، مات مطعونًا، وله من العمر إحدى عشرة سنة[٥].

[خلافة العاضد لدين الله أبى محمد عبد الله]

ثم تولى من بعده ولَدُ عمه عبد الله العاضـد لدين الله، ولقب بأبى محمد عبد الله ابن الحافظ ابن المستنصر، الحادى عشر من الخلفاء الفاطمية بنى عبيد الله[٦].

بويع بالخلافة فى رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة[٧].

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٣.　　(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٩.

(٣) أورد ابن إياس ذلك فى عهـد الظافر ج ١ ق ١ ص ٢٢٧، وانظر فى ذلك: طبـقات المناوى ج١ ص ١٠٤.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٧.

(٥) أخبار الدول المنقطعة ص١٧٨، النويرى ج٢٨ ص٣٢٢، بدائع الزهور ج١ ق١ ص٢٣٠.

(٦) النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ص ٩٣، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٠.

(٧) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٠.

قيل: إن المعز لما قدم إلى الديار المصرية طلب [بعض] علماء مصر فقال لهم: اكتبوا لى ألقابًا تصلح للخلافة، حتى إذا تولى منًا أحد يلقب بها، فكتبوا له ألقابًا كثيرة أحدها العاضد بالله، فاتفق أن آخر من تولى منهم الخلافة العاضد بالله، ثم انقرضت دولتهم(١).

واستمر الصالح طلائع بن رُزّيك فى الوزارة حتى وثبوا عليه العبيد الزنج وهو طالع إلى القلعة فقتلوه، ودفن بالقرافة الكبرى(٢).

ثم تولى من بعده الوزارة شاور بن مجير السعدى(٣).

ثم عُزل وتولى من بعده الوزارة أسد الدين شيركوه، عم صلاح الدين يوسف، عوضًا عن السعدى، ثم إن أسد الدين صلب الوزير شاور بن مجير السعدى على باب القاهرة(٤).

ثم لما مات أسد الدين تولى الوزارة صلاح الدين يوسف بن أيوب، فلما تولى ضعفت شوكة العاضد، ومال العسكر جميعه مع صلاح الدين يوسف(٥).

ثم إن نور الدين الشهيد لما كان بالشام أرسل يقول لصلاح الدين: اقطع اسم الخليفة العاضد من الخطبة بمصر فقطعها، فانقهر العاضد بسبب ذلك، وبلع فص ماس فمات فى يومه، يوم الاثنين عاشر المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة، وكانت مدة خلافته بمصر اثنتى عشرة سنة، وبه انقرضت دولة الخلفاء بنى عبيد الله، فكانت مدتهم نحو مائتى سنة وست سنين(٦).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣١ وما بين حاصرتين منه.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣١.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣١.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٢.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٤.
(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٦.

[ذكر ابتداء دولة الأكراد من بنى أيوب]

واستولوا دولة الأكراد من بعدهم، فكان أولهم الملك الناصر أبو المظفر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى بن مروان الكردى فى بلاد الكرج[١].

وكان أبوه أيوب فى خدمة زنكى أبى نور الدين الشهيد، فلما توفى زنكى صار أيوب وأولاده فى خدمة نور الدين الشهيد[٢].

ثم ارتقى نور الدين الشهيد حتى بقى صاحب البلاد الشامية، ثم تلاشى أمر الخليفة العاضد قبل موته واستولت الفرنج على الديار المصرية فأرسل يطلب من نور الدين الشهيد نجدة فأرسل إليه أسَد الدين شيركوه، عم صلاح الدين، فلما توفى أسد الدين تولى من بعده الوزارة فى أيام العاضد صلاح الدين يوسف نيابة عن نور الدين الشهيد تقليدا منه[٣].

وكان سبب موت العاضد أن نور الدين الشهيد لما أرسل يقول له: اقطع الخطبة عن اسم العاضد من مصر وأعمالها، وكان صلاح الدين وزير العاضد بالله، فأرسل صلاح الدين يقول لنور الدين الشهيد إن أهل مصر لم يرضوا بذلك[٤].

فجمع أعيان مصر، وذكر لهم ما قاله نور الدين الشهيد فامتنعوا من ذلك، فقام شخص عجمى من أهل العلم وطلع إلى المنبر يوم الجمعة قبل صلاة الجمعة ودعا للخليفة المستضىء بالله العباسى، خليفة بغداد، فسكتوا ولم ينكروا عليه[٥].

وفى ثانى جمعة أَمَر صلاحُ الدين خطباء مصر أن يدعوا باسم الخليفة المستضىء بالله العباسى ويسكتوا عن اسم العاضد[٦].

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٧.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٧.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٧.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٤.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٥.
(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٥.

فلما بلغ العاضد ذلك بلع فص الماس فمات فى يومه، ودفن فى عاشر المحرم[١].

فكتب نور الدين الشهيد تقليدًا لصلاح الدين يوسف نيابة عنه واستولى على حواصل الخلفاء الفاطمية واستعرض ما فيها من السلاح والأموال وأرسل ما استحسن من كل صنف [لنور الدين الشهيد] واصطفى لنفسه ما اختاره، حتى قيل: أقام نحو عشر سنين يبيع ما فضل من الخزائن، وهو لا يفرغ[٢].

واستمر صلاح الدين متوليا على مصر نائبًا عن نور الدين الشهيد حتى مات نور الدين الشهيد فى سنة تسع وستين وخمسمائة، ودفن بدمشق [بجامع] الكلاسة[٣].

وكان يلقب بالملك العادل المرابط المجاهد فاتح بيت المقدس من يد الفرنج والثغور الإسلامية، من البلاد الشامية، وهو الذى ردَّ لبنى العباس الخطبة بمصر وأعمالها، وأبطل اسم الفاطمية[٤].

ثم لما توفى نور الدين الشهيد انفرد صلاح الدين بمملكة الديار المصرية، والبلاد الشامية، وصفا له الوقت، وأزال من مصر العساكر الدشتية، ما بين مغاربة ومصامدة وأرمن وشناترة [العرب] وعبيد سود، واتخذ عسكرًا من الأكراد، وكان عددهم اثنى عشر ألف فارس من شجعان الرجال[٥].

وأسقط جميع المكوس الحادثة فى أيام الدولة الفاطمية، وكتب بذلك مسامیح بخط القاضى عبد الرحيم الفاضل، وقرئت على المنابر فى الجوامع بعد صلاة الجمعة، فكان قدر ما أبطله فى كل سنة مائة ألف دينار، فضجوا الناس له بالدعاء، وكان يومًا عظيمًا[٦].

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٦.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٧ وما بين حاصرتين منه.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٤٠ وما بين حاصرتين منه.

(٤) بعد ذلك خبر خاص بحوادث سنة ٥٧٨ كما أورده ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٢٤٤ فى سلطنة الناصر صلاح الدين وليس مكانه هنا ولا يصح إيراده وسط هذه الأحداث الخاصة بصلاح الدين، وقد نسبه المؤلف إلى الحوادث التى كانت فى عهد نور الدين الذي انتقلت إليه الإمارة سنة ٥٤٢هـ.

(٥) ابن إياس ج١ ق١ ص ٢٤١ ، ٢٤٢، وما بين حاصرتين منه.

(٦) ابن إياس ج١ ق١ ص ٢٣٨.

قال ابن الأثير: وفى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة أمر الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ببناء السور بالحجر الفص النحيت، وكان القائم على البناء الأمير بهاء الدين قراقوش[١].

وأبطل السور القديم الذى بناه جوهر القائد، فكان دور السور الذى بنى تسعة وعشرين ألف ذراع، وعدة أبوابه المصفحة بالحديد خمسة عشر بابًا، غير أبواب السور، وكان باب زويلة يسمى باب الفاضل، والباب القديم عند سيدى سام بن نوح، عليه السلام، والغرابليين[٢].

ثم بنى قلعة الجبل وأبطل قصر الزمرد الذى بدار الضرب[٣].

ثم مات صلاح الدين ولم يتم بناء القلعة، وإنما أكمل بناءها الملك الكامل، ابن أخى الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب، وهو أول من سكن بقلعة الجبل من بنى أيوب[٤].

ثم جاءوا الفرنج فى أيامه إلى ثغر دمياط فى مائتى مركب مملوءة بالعساكر، فخرج إليهم صلاح الدين بعساكر كثيرة من مصر، وقاتلهم وانهزموا بإذن الله تعالى، ورجعوا إلى بلادهم[٥].

وفى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة انخسفت المغارة التى فيها إبراهيم الخليل مدفونًا، فنزلوا إليها جماعة فوجدوا بها السيد الخليل إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، وقد بليت أكفانهم وهم مستندون إلى حائط المغارة وأجسادهم طرية لم تبل، وعلى رءوسهم قناديل من ذهب وفضة، فلما بلغ الملك الناصر صلاح الدين ذلك أمر بأن تجدد لهم أكفان بيض، وهذه الواقعة نقلها الهروى فى كتاب «الإشارات فى معرفة الزيارات»[٦].

---

(١) ابن إياس ج١ ق١ ص ٢٤٢.
(٢) ابن إياس ج١ ق١ ص ٢٤٢.
(٣) ابن إياس ج١ ق١ ص ٢٤٢.
(٤) ابن إياس ج١ ق١ ص ٢٤٢.
(٥) ابن إياس ج١ ق١ ص ٢٤٣.
(٦) الهروى: الإشارات ص ٣٠. وهذا الخبر وضعه ابن إياس فى سلطنة صلاح الدين، وهو المناسب للتسلسل الزمنى للحوادث، وقد آثرت إيراده هنا كما ورد لديه، وقد وضع فى الأصل فى الحوادث المعاصرة لنور الدين.

[وفى سنة ثمان وثمانين] توجه صلاح الدين من هناك إلى الشام فخرجوا أهل الشام وفرحوا به، ونزل الميدان الكبير، وجاءوا له أرباب الملاعيب وفيهم شخص أعجمى يعرف علم الشعبذة، فوقف بين يديه وأخرج من رأسه كبَّة خيط ونصب خيمة وحذف الخيط فى الهواء، ثم تعلق فيه وصعد حتى غاب عن الأبصار(١).

ثم سقطت رجله اليمنى مقطوعة تزحف على الأرض حتى دخلت فى الخيمة، ثم سقطت رجله اليسرى مقطوعة تزحف على الأرض حتى دخلت الخيمة، ثم سقطت يده اليمنى مقطوعة تزحف على الأرض حتى دخلت الخيمة، ثم سقطت يده اليسوى تزحف على الأرض حتى دخلت الخيمة، ثم سقطت الرأس مقطوعة تزحف على الأرض حتى دخلت الخيمة، ثم بعد ذلك خرج الرجل من داخل الخيمة يمشى صحيحًا سويا كما كان، وقبَّل الأرض بين يدى الناصر، فبهتوا الناس وتعجبوا من فعله(٢).

ثم دخل الخيمة ثانيًا فقال رفيقه للحاضرين: ادخلوا الخيمة وأخرجوا رفيقى الذى دخل فيها، فدخلوا وفتشوا عليه فلم يجدوا فيها أحدًا(٣).

ثم فكوا الخيمة ونصبوها فى مكان آخر فخرج الرجل منها فتعجبوا من ذلك(٤).

قال الأمير سنقر الأخلاطى للملك الناصر: مثل هذا يكون جاسوسًا للفرنج، فقام إليه وضرب عنقه بالسيف، وأراد أن يقتل رفيقه فحلف أنه لا يعرف شيئًا من هذه الصناعة، واستجار بالملك الناصر فأجاره، ثم أمره بالخروج من دمشق فى ذلك الوقت(٥).

قال ابن الأثير: إن الملك الناصر هو الذى قرر الطواشية(٦) خدامًا فى الحجرة النبوية، فجعل عليهم شيخًا يسمى شيخ الحرم، وأوقف عليهم بلدين فى الصعيد: نقادة وقبالة، على فقراء الحرمين الشريفين، واستمروا إلى الملك الأشرف برسباى(٧).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٤٥.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٤٥.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٤٥.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٤٥.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٤٦.
(٦) الطواشية: هم الخصيان الذين استخدموا فى الطباق المملوكة، وفى الحريم السلطانى.
(٧) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٤٣.

وأنشأ الملك الناصر صلاح الدين يوسف الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء قريبًا من باب النصر بالقاهرة، والمدرسة السيوفية بباب الزهومة، وأنشأ المارستان الذى بدار الضرب القديم، والمدرسة التى بجوار الإمام الشافعى ﷺ، والمدرسة الصلاحية بالقدس الشريف[١].

ثم مرض ومات بالشام ودفن بمدرسة مجاهد الدين، وله من العمر نحو إحدى وسبعين سنة، وتوفى فى سنة تسع وثمانين وخمسمائة، ومدة سلطنته نحوا من أربع وعشرين سنة، وخلف سبعة عشر ولدًا ذكرًا من صلبه[٢].

وأفنى جميع ما ملكه قبل موته فى الجهاد والغزوات، ولم يخلف شيئًا من الدنيا سوى أربعين ألف درهم فضة.

[سلطنة الملك العزيز بالله عماد الدين عثمان ابن الملك الناصر صلاح الدين]

ثم تولى من بعده ابنه العزيز عثمان ولقبه الملك العزيز بالله عماد الدين أبو الفتح عثمان ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولى ابنه الأفضل على دمشق، وولى ابنه المظفر غازى على حلب، وولى ابنه العزيز عثمان على مصر، فحصل منه غاية الضرر للمسلمين، ثم تجاهر بالمعاصى والفسق وشرب الخمر[٣].

ثم إنه خرج يومًا يصطاد فلاح له ظبى فساق خلفه فكبا به الفرس فدخل قربوس السرج فى بطنه فمات من ساعته، فحُمل إلى القاهرة ودُفن عند الإمام الشافعى ﷺ، فكانت مدة سلطنته بمصر نحو سبع سنين وأشهر[٤].

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٤٢.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٤٧.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٥٠.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٥٢.

[سلطنة الملك المنصور محمد ابن الملك العزيز عثمان]

ثم تولى من بعده ابنه الملك المنصور محمد ابن الملك العزيز عثمان ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب.

وهو الثالث من ملوك بنى أيوب، وكان القائم بأمور دولته الأمير بهاء الدين قراقوش صاحب الحارة المنسوبة إليه، واستمر الملك المنصور فى السلطنة مدة يسيرة، وتغلبت عليه أعمامه بسبب السلطنة وجرى بينه وبينهم حروب وأمور عظيمة، يطول شرحها، ثم خُلع من السلطنة ووُضع فى السجن بقلعة الجبل حتى مات، ودُفن بالقرافة، فكانت مدة سلطنته بمصر نحو عشرة أشهر(١).

[سلطنة الملك العادل سيف الدين أبى بكر ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شادى]

ثم تولى من بعده عم أبيه الأمير أبو بكر بن أيوب، ولقب بالملك العادل سيف الدين ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شادى.

[وهو] الرابع من ملوك بنى أيوب فى سنة ست وتسعين وخمسمائة(٢).

وفى سنة ست وتسعين وخمسمائة ولد فيها سيدى أحمد البدوى، نفع الله به.

ثم وقع فى هذه السنة غلاء عظيم بسبب توقف البحر حتى صار كل إردب بمائة دينار، وأُكل فى تلك السنة الكلاب والقطط والحمير والبغال والخيل والجمال، ثم حصل فناء عظيم ذهب فيه ثلثا الناس، حتى لم يجدوا فلاحين يزرعون الطين(٣).

وصار العسكر هم الذين يزرعون ويحصدون ويدرسون ويتعاطون المصالح بأنفسهم،

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٥٢.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٥٣.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٥٤.

حتى أن الملك العادل أبا بكر بن أيوب كـفن أمواتًا من ماله من الغرباء فى مدة يسـيرة نحو مائتين وعشرين ألف إنسان، غير من مات من أهل البلد ولم يعرف لهم عدد(١).

ثم تراجع الأمر وتناقص، ثم خرج الملك العادل أبو بكر إلى نحو الشام يتفقد أحوال الناس، فمرض هـناك ومات ودُفن بدمشق فى سنة خمس عـشرة وستمائة، ومـدة سلطنته بمصر ثمان عشرة سنة وتسعة أشهر(٢).

وفى أيامه توفى مؤيد الدين الطغرائى صاحب لامية العجم كان فاضلاً شاعراً(٣).

[سلطنة الملك الكامل ناصر الدين محمد

ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب]

ثم تولى من بعـده الملك الكامل ناصـر الدين محـمد ابن الملك العـادل أبى بكر بن أيوب.

وهو الخامس من ملوك بنى أيوب بويع بالسلطنة يوم الجمعـة سابع جمادى الآخر سنة خمس عشرة وستمائة(٤).

استولى على مـلك مصر أربعين سنة، نصـفها فى حياة أبيـه، ونصفها بعـد موت أبيه استقلالاً(٥).

وكان يكثر من الإقامة فى وادى العباسة وكان يقول: أنا أحب الإقامة فى العباسة كون أنى أصطاد الطير من السماء، والوحوش من الفـلاة، والسمك من الماء، وتصل إلىَّ أخبار مصر فى النهار مرتين، وأنشأ فيها بساتين وقناطر عظيمة(٦).

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٥٤.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٥٧.
(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٢٥٥.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٥٨.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٥٨.
(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٥٨.

وفى أيامه توفى الشيخ أبو الحسن الدينورى، من أكابر الأولياء، كان له كرامات خارقة، ودُفن بالقرب من الجبل المقطم فى القعدة سنة ست عشرة وستمائة.

وقيل: جاء شخص مغربى إلى شخص من الأعيان، ثم أظهر بستانًا عظيمًا خارج القاهرة لم ير مثله من كثرة أشجاره وأثماره وسواقيه وأثواره[١] فباعه له بألف دينار، وأشهد عليه، وقبض المغربى الألف دينار وسلمه البستان بجميع ما فيه ثم فارقه، ونام الرجل فى البستان تلك الليلة فلما أصبح وجد نفسه بين الكيمان، ولم يجد شيئًا، وصار يسأل من الناس: هل كان هنا بستان؟ فيقولون له: لا، حتى نسبوه إلى الجنون[٢].

ثم طلع إلى الملك وأخبره بذلك، فسأل عن المغربى فدوَّروا[٣] عليه فلم يجدوه أصلاً، فتعجبوا الناس من هذه الحادثة عجبًا عظيمًا[٤].

وكان من جملة الجندارية الذين فى خدمة الملك العادل شخص يسمى شمايل، يمشى فى ركابه ليلاً ونهارًا لا يفارقه أصلاً، حتى أنه كان يسبح فى البحر ليلاً ويأتى بأخبار الفرنج، ثم ولاه بعد ذلك، وكان له خزائن يحبس الناس فيها فسميت به من ذلك اليوم[٥].

وقيل: إن الفرنج جاءوا فى أيام الملك الكامل إلى ثغر دمياط فى مائتى مركب ملآنة مقاتلين، ثم وقع بين الفرنج وبين المسلمين مقتلة عظيمة، ثم إنهم ملكوا دمياط وأقاموا فيها ثلاث سنين وأربعة أشهر وتسعة عشر يومًا، والملك الكامل معهم فى حرب ليلاً ونهارًا[٦].

ثم بعد ذلك طلبوا الصلح، ويحلف ملك الفرنج يمينًا والملك الكامل يمينًا أن كل واحد منهم يرسل من عنده من رهائن ويطلقون الأسارى من المسلمين ومن الفرنج.

فأرسل ملك الفرنج رهائنه إلى الملك الكامل، عشرين ملكًا من ملوك الفرنج، وأرسل الملك الكامل ولده نجم الدين مع جماعة من الأمراء، وأطلقوا جميع من كان

(١) يقصد: الثيران: جمع ثور.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٤.
(٣) من التعبيرات الشائعة فى عصر المؤلف وهو من الأساليب العامية.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٥.
(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٢٦١.
(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٢.

عندهم من المسلمين من الأسارى من أيـام الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب، وكذلك الملك الكامل أطلق من كان أسيرًا من الفرنج، ووقع الصلح على ذلك[١].

ثم بعـد ذلك وصل إلى الفـرنج نجـدة عظيـمـة من بلاد الفـرنج فى مـائتى مـركب فوجدوهم بقـدرة الله قد اصطلحوا وسلموا البلد، فلله الحمـد والمنة على عدم وصولهم قبل الصلح[٢].

ثم لما تسلم الملك الكامل دمـياط ودخل إليها كان ذلك الـيوم يومًا عظيمًا مـشهودًا، وكانت النصرة فى سنة ثمانى عشرة وستمائة من الهجرة[٣].

ثم حـضر إلى عند الـملك الكامل أخواه: المـلك المعظم عـيـسى صاحب دمـشق، والملك الأشرف مـوسى شاه صـاحـب حلـب وماردين، واجـتمعـوا فى القـصر الـذى أنشـأه الملك الكامل فى المنصـورة، وكان ابتـداء عمـارة المنصـورة فى سنة ست عشـرة وستمائة[٤].

ثم رجع الملك الكامل ودخل مصر ومعه أخواه، وكان يومًـا عظيمًا مشهودًا لم يُسمَع بمثله، ثم أقاما عنده أيامًا قلائل، ثم توجها إلى ممالكهما[٥].

وأقام الملك الكامل حتى بدأ بعمارة المدرسة الكاملية التى بيْن القصرين، فلما انتهت عمارتها سماها دار الحديث[٦].

وسبب بنائها أنهم لمـا حفروا أساسها وجـدوا صندوقًا فيه صنم كبيـر من ذهب، فأمر الملك الكامل بسبكه وصرفـه على المدرسة المذكورة وبناء القبة الـتى على الإمام الشافعى ﷺ، وبناء الحوض الذى هناك على الطريق[٧].

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٢.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٢.
(٣) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٣٢.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٢.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٣.
(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٤.
(٧) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٤.

ثم لما مـاتت أم الملك الكامل دُفنت داخل قبة الإمام الشافعى ﷺ ونفعنا به وبعلمه[١].

ومات فى أيامه القاضى كمال الدين ابن النبيه، كان عالمًا فاضلاً شاعرًا، مدح بنى أيوب بقصائد عظيمة مشهورة.

وفى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة فى ثانى جمادى الأول توفى الشيخ شرف الدين عمر ابن الفارض، رحمه الله، ودُفن بالقرافة الصغرى تحت العارض بجوار الجبل المقطم، وكان مولده بالقاهرة فى رابع ذى القعدة سنة سبع وسبعين وخمسمائة، فكانت مدة حياته أربعًا وخمسين سنة وستة أشهر وأيامًا، وأصله من حماة[٢].

وكان والده الشيخ شمس الدين من أكابر العلماء، انفرد بعلم الفرائض فسمى بذلك ابن الفارض.

وانفرد الشيخ شرف الدين بعلم التصوف، وعاصر الشيخ أبا القاسم المنفلوطى، والشيخ شرف الدين بن أبى المنصور، والشيخ شمس الدين الأيكى شيخ خانقاه سعيد السعداء الحنبلى المحدث، والشيخ أمين الدين الرقاقى، والشيخ جمال الدين الأميوطى، والشيخ شهاب الدين السهروردى، والشيخ شهاب الدين الجعبرى، والشيخ شمس الدين ابن خلكان.

وكانوا جميعًا يتأدبون مع الشيخ شرف الدين عمر ابن الفارض، ولم ينكروا عليه فى أقواله[٣].

ودفن تحت رجليه الشيخ محمد البقال.

ثم كان الشيخ شرف الدين عمر مقيمًا بالجامع الأزهر، وخرج يومًا متوجهًا إلى جامع عمرو بن العاص بمصر القديمة فأحضروا للشيخ مكارى يركب على حماره، فقال له الشيخ: كم تأخذ أجرة حمارك منى، فقال له: بلا مقاولة، اركب على فتح الله، فركب الشيخ حماره وتوجه، فلما كان فى أثناء الطريق لقيه بعض الأكابر فنزل عن فرسه وقبَّل يد

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٤.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٦.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٧.

الشيخ وانصرف، ثم أرسل له مع غلامه صرة فيهـا مائة دينار، فقال الشيخ: ادفعها يا غلام لصاحب الحمار، وقل له: لو جاءنا أكثر من ذلك دفعناه لك.

ثم إن الملك الكامل خرج متوجهًا إلى دمشق، فأقام بها مدة ومرض ومات هناك، ودُفن بدمشق فى العشرين من شهر رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة[١].

وكانت مدة سلطنته بمصر عشرين سنة[٢].

[سلطنة الملك العادل سيف الدين أبى بكر]

ثم تولى من بعده الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن نجم الدين أيوب[٣].

وهو السادس من ملوك بنى أيوب، ثم لما تولى الملك العادل راح[٤] الخبر إلى أخيه نجم الدين وكان بحلب نائبًا، فشق عليه ذلك، فحضر إلى القاهرة فى أسرع وقت، وانفرق العسكر فرقتين معهما، ثم تحاربا مدة، ثم قويت شوكة نجم الدين على أخيه الملك العادل فخلعه من السلطنة وسجنه بقلعة الجبل حتى مات، فكانت مدة سلطنته بمصر سنة وشهرين[٥].

[سلطنة الملك الصالح نجم الدين أيوب]

ثم تولى من بعده أخوه نجم الدين الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن نجم الدين أيوب[٦].

وهو السابع من ملوك بنى أيوب ملوك مصر، بويع بالسلطنة يوم الاثنين خامس عشرين ذى القعدة سنة ست وثلاثين وستمائة[٧].

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٨.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٨.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٨.
(٤) أبقيت هذا التعبير على ما هو عليه للدلالة على سمات أسلوب هذا العصر.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٨.
(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٩.
(٧) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٩.

فلما أقام فى الملك اشترى المماليك الأتراك، ثم فسد حالهم وصـاروا ينهبون بضائع الناس وأسبابهم، فـشكوا إليه فأخرجهم من مـصر، وبنى قلعة قريبة من المقـياس وأمرهم بالإقامة فيها، حتى إذا حصل سفر أرسلهم فيه، وكانت عدتهم ألف مملوك، ثم أجرى لهم جوامك ورواتب، وصاروا مقيمين فيها، وهى باقية إلى الآن آثارها[١].

ثم خرجوا جماعة من المماليك هاربين إلى ناحية تيه بنى إسرائيل، فتاهوا خمسة أيام، ثم فى اليوم السادس رأوا سوادًا عظيمًا، فإذا هى مدينة عظيـمة، وفيها أبواب مبنية بالرخام الأخضر، فطـافوا بها فوجدوا بهـا حوانيت، وفيهـا صهاريج ملآنة مـاء أحلى من العسل، وأبرد من الثلج.

ثم إنهم فتحوا الحوانيـت فوجدوا فيها ذهبًا مكتوب عليه خط قـديم فأخذوه وخرجوا من المدينة وسـاروا ليلة كاملة، فلما طلع النهـار صادفهم طائفة من العـربان حملوهم إلى مدينة الكرك، فأخرجوا تلك الدنانير للصيارف ليـصرفوها فوجدوا مكتوبًا عليها اسم موسى عليه السلام[٢].

وكان يقال: إن هـذه المدينة تسمى المدينة الخـضراء، من مدائن بنى إسرائـيل، فتارة ينكشف عنها الرمل وتارة يعلوها فلم يرها أحد[٣].

وفى سنة أربع وأربعـين وسـتمـائة بنى الملك الصـالح نجم الدين أيوب مـدينة على أطراف الرمل وسماها الصالحية، ثم بنى المدرستين تجاه باب الصاغة وسماهما الصالحيتين النجميتين، وهما قلعتا العلماء[٤].

ثم إن الأمير شهـاب الدين يغمور والى القاهرة أمر بشنق عشـرين رجلاً كانوا يقطعون الطرقات ويقتلون الناس، وجعل عليهم حرسًا يحـرسونهم، فغفلوا عنهم ساعة ثم عدُّوهم فوجدوهم تسعة عشر رجلاً، فخافوا على أنفسهم من الوالى، وإذا بشخص قد أقبل عليهم

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٩.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٢.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٢.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٧٢، ٢٧٥.

فى الليل يمشى مستخـفيًا، فقاموا إليه الخفراء ومـسكوه وشنقوه عوضًا عن ذلك المشنوق الذى لم يجدوه[(١)].

ثم لمـا أصبح الصـباح جـاء الوالى وعدهم فـإذا هم واحد وعـشرون رجـلاً، فقـال للخفـراء: ومن هذا الرجل الزائد الذى معـهم؟ فبهـتوا الخفـراء، فقال لهـم: مـا شأنكم؟ فقالوا: يا أمير قد عدّيناهم فى الليل فرأيناهـم ناقصين واحدًا، فمرّ بنا هذا الرجل فمسكناه وشنقناه معـهم، فقال الأمـير شهاب الدين: أرونى هذا الرجـل المسكين الذى وقع لكم، فلما رآه وجده شخصًا قاطع طريق وله مدة يتطلبه، فلم يقع له ولا قدر على تحصيله، فلما رآه سّر به وتعجب من هذه الواقعة الغريبة[(٢)].

وفى هذه السنة تُوفى الشـيخ أبو السـعـود بن أبى العشـائر القـرشى الواسطى، ودُفن بالقرافة الصغرى، هكذا ذكره الشيخ عبد العظيم المنذرى[(٣)].

ثم إن الملك الصـالح صفـا له الوقت وكثـرت مماليكـه، وطالت أيامه ثم قـتل أخاه الملك العـادل الذى كان مـسجونًا بقـلعة الجبل فـى ثالث شهر شـوال سنة سبع وأربـعين وستـمائة، ودُفن عنـد الإمام الشافـعى ليلة الأحـد رابع شهـر شعبـان سنة سبع وأربـعين وستمائة[(٤)].

ثم إن الله تعالى ابتلى أخاه الملك الصالح بأكلة فى وجهـه، واستمر يتزايد به المرض حتى مات فى التاريخ المذكور ودُفن عند الإمام الشافعى رضي الله عنه[(٥)].

وكانت مدة سلطنته تسع سنين وسبعة أشهر وأحد عشر يومًا[(٦)].

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٧٥.

(٢) ورد هذا الخبر مضطربا ومـحرفا فى الأصل، وقد اعتمدنا فى تعديله وتصويـبه على ما جاء ببدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٧٥، ٢٧٦.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٧٦.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٧٧.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٧٧.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٧٩.

[سلطنة الملك المعظم مغيث الدين توران شاه]

ثم تولى من بعده الملك المعظم تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب[١].

وهو الثامن من ملوك بنى أيوب بمصر، بويع بالسلطنة يوم الجمعة مستهل محرم سنة ثمان وأربعين وستمائة[٢].

وزيِّنَت له القاهرة سبعة أيام ودُقت له الكوسات[٣]، ونُودى باسمه والرحمة على والده[٤].

فسمعت الفرنج بذلك فزحفوا على فارسكور، وقد اجتمعوا الأمراء وتحالفوا على الجهاد فى سبيل الله، فلما كان ثانى عشر شهر المحرم خرجوا الأمراء لأجل القتال، وهم: الأمير بيبرس البندقدارى، والأمير لاجين، ومعهم السواد الأعظم من العوام والفلاحين وغير ذلك، وبأيديهم المقاليع والحجارة، وهجموا المماليك البحرية وفى أيديهم السيوف والدبابيس والرماح، وطائفة يرمون بالنشاب على الفرنج، ثم حملوا على الفرنج حملة واحدة، وكانت ساعة تشيب لها الرأس، وانكسروا الفرنج بعون الله تعالى وولوا مدبرين[٥].

فكان عدة من استشهد فى هذه الوقعة من الأمراء الكبار سبعة وستين أميرًا، خارجًا عن المماليك، ومن العوام ما لا يحصى عددهم إلا الله تعالى[٦].

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٧٩.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٧٩.
(٣) الكوسات: صنوجات من نحاس تشبه الترس الصغير، يدق بأحدهما على الآخر بإيقاع مخصوص، والكوسى هو الذى يضرب بالكوسات.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٧٩.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٠.
(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٠.

وقُتل من الفرنج على فارسكور نحو اثنى عشر ألف إنسان، وأسر منهم سبعة ملوك[١].

وغنموا المسلمين منهم غنيمة عظيمة لا تُحصر، حتى أبيع كل سيف بنصفين فضة، وكل فرس بعشرة أنصاف، وكل درع بثمانية أنصاف[٢].

ثم إنهم حاشوا[٣] بقية أمرائهم على تل عال هناك، وأرسلوا يسألون السلطان فى الأمان، فأرسل إليهم بعض الأمراء فقبضوا عليهم وقيدوهم وسجنوهم[٤].

وأما ملكهم فوكل به خادم يضربه فى كل ليلة ثمانين سوطًا، ثم سأل أن يشترى نفسه من السلطان بمال عظيم، فأجابه إلى ذلك، فاشترى نفسه منه بمائة ألف دينار[٥].

ثم لما انتصر السلطان عليهم وأخذ دمياط وفارسكور وحصل ما حصل، أرسل الأمير شهاب الدين بن يغمور إلى القاهرة يبشر بذلك، ثم ألبسه ملبوس ملك الفرنج: مخمل أحمر بفرو سنجاب، وقلنسوة ذهب، فزُينت له القاهرة يوم دخوله، وقدامه الفرنج مشاة مسلسلين، وكان يومًا مشهودًا، وذلك بعد أن أخذ الفرنج دمياط، وبعض ضياع، ورجعوا على مصر وأرادوا أخذها، فخذلهم الله تعالى وأذلهم ونصر الله المسلمين[٦].

ثم بعد ذلك أشاروا الأمراء على السلطان بهدم دمياط، فأرسل إليها الهدامين فهدموها ولم يبقوا منها سوى الجامع الكبير، وصارت أخصاصًا يسكنها الصيادون على شاطئ البحر، وسموها المنشية[٧]..

واستمرت على هذا الحال إلى دولة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى، فأمر بعمارتها وأرسل إليها البنائين وعمروها فى سنة إحدى وخمسين وستمائة، وعمر سورها

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٠.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨١.
(٣) أبقيت الكلمة على ما هى عليه للدلالة على سمات الأسلوب فى ذلك العصر.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨١.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨١.
(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨١.
(٧) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨١.

وهدم فم البحر الذى كانت تدخل منه مراكب الإفرنج، وأعاد السلسلة التى وضعها المقوقس عظيم القبط[١].

قيل: لما انتصر تورانشاه ظن أن الوقت صفا له فتحول من المنصورة إلى فارسكور وبنى له برجًا خشبيًا على شاطئ البحر، وأحضر الأسارى من ملوك الإفرنج وغيرهم فضربت رقابهم بين يديه، وقذف بهم فى البحر[٢].

وصار يقرب جماعته الذين حضروا معه من حصن كيفا ويعطيهم الوظائف والخلع السنية، وأبعد مماليك أبيه الملك الصالح[٣].

وأرسل إلى شجر الدر يتوعدها بكل سوء، فأرسلت شجر الدر تقول للأمراء: اقتلوا تورانشاه وأنا أرضيكم بكل شىء تريدونه، فصبروا المماليك حتى جلس على رأس السماط والمماليك الحرسية واقفين على رأس السماط وبأيديهم سيوفهم فهجموا عليه وضربوه بالسيوف وقطعوا أصابع يديه، فقام من المجلس وهرب ودخل إلى البرج الخشب الذى عمله وأغلق عليه الباب، فأطلقوا فى البرج النار وحرقوه، فخاف على نفسه من النار فألقى بنفسه فى البحر من أعلى البرج، وصار يسبح فى الماء ولم يغثه أحد حتى مات غريقًا مضروبًا[٤].

فلما مات طلعوه وصار على شاطئ البحر ثلاثة أيام لم يُدفن، ثم دُفن بعد ذلك فى جوف البحر[٥].

ونهبوا المماليك جميع ما كان فى وطاقه من قماش وسلاح وخيل وغير ذلك، واستمر السماط تأكل منه الكلاب ثلاثة أيام[٦].

وكانت مدة ولايته أربعين يومًا، وقُتل فى فارسكور[٧].

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٢.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٣.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٣.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٣، ٢٨٤.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٤.
(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٥.
(٧) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٥.

وهو آخر مـن تولى السلطنة من بنى أيوب، وكانت مـدة ولايتهم سـتا وثمـانين سنة، وانقرضت دولتهم كأنها لم تكن بمصر[١].

[سلطنة شجر الدر زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب]

ثم رجعوا الأمـراء والعسكر إلى مصر، وطلعـوا القلعة واتفقوا على توليـة شجر الدر عوضًا عن تـوران شاه، فسلطنوها وتحالفـوا على ذلك، وأن يكون الأمير أيبك التـركمانى مدبر المملكة معها[٢].

وهذه واقعة غريبة ما تسلطن بمصر غيرها[٣].

ثم سمع الخـبر الخليـفة المسـتنصر بالله أبو جعـفر، وهو بـبـغداد، أن أهل مصـر قد سلطنوا امرأة، فأرسل يقول لأهل مصر: ما بقى عندكم أحد من الرجال يصلح للسلطنة إلا هذه المرأة! فـوجب علينا أن نرسل لكم من عندنا أحـدًا يتولى السلطنة، أمـا سمـعتم فى الحديث الشريف قول رسول الله ﷺ أنه قال: «خاب قوم ولوا أمرهم امرأة»[٤].

ثم إن شجر الدر لما سمعت هذا الخبر خلعت نفسها من السلطنة برضاها[٥].

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٥.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٥.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٥.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٧.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٧.

[ابتداء دولة الاتراك بمصر]

ثم إن القضاة والأمراء توافقوا على سلطنة الأمير أيبك التركمانى وأن يتزوج بها، وتمت سلطنته وتزوج بها، وهو أول من تولى مصر من ملوك الترك(١).

وهو الملك عز الدين أيبك التركمانى الصالحى النجمى، أصله من مماليك الملك الصالح، ثم بقى أتابك العسكر بعد قتل الملك المعظم تورانشاه، ثم بقى سلطانًا بعد خلع شجر الدر نفسها(٢).

تولى يوم السبت تاسع عشرين ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وستمائة، وأقام فى المملكة مدة، ثم انقلبوا عليه بعض العسكر من المماليك الصالحية وقالوا: لا بد لنا من سلطان غير هذا يكون من ذرية بنى أيوب(٣).

وكان شخصًا يسمى مظفر الدين يوسف بن مسعود، صاحب بلاد الشرق، من ذرية بنى أيوب، وكان عند عماته ببلاد الشرق، فأرسلوا خلفه وأحضروه وسلطنوه ولقبوه بالملك الأشرف، وكان عمره عشرين سنة(٤).

ولم يعزلوا أيبك التركمانى وصار شريكًا معه فى السلطنة، وكان يخطب باسمهما(٥).

ثم قويت شوكة أيبك فكثرت عساكره ومماليكه، وأراد أن يقبض على فارس الدين أقطاى رأس المماليك الصالحية وقتله، فطلبه وقت الظهر وأوصى المماليك المعزية إذا طلع فارس الدين إلى القلعة يكمنون له عند باب قاعة الأعمدة ويقتلونه، فلما طلع ووصل إلى باب قاعة الأعمدة خرجوا المماليك المعزية وضربوه بالسيوف حتى قتلوه ثم قطعوا رأسه وأغلقوا باب القلعة(٦).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٧.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٨.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٩.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٩.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٩.
(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٩.

واشتاع الخبر بقتل الأمير فارس الدين، فاجتمعوا الأمراء وهم يومئذ: الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى، والأمير قلاوون الألفى، والأمير سنقر الأشقر، والأمير بيسرى، والأمير سكز، والأمير برمق، والمماليك معهم ووقفوا تحت القلعة نحو سبعمائة شخص راكبين بسبب الأمير فارس الدين[١].

فلما سمع بذلك أيبك أمر برمى رأس فارس الدين إليهم من فوق سور القلعة، فلما رأوا رأس فارس الدين وقعت إليهم من فوق مقطوعة وتحققوا قتله ولوا هاربين يريدون الخروج من القاهرة إلى جهة البلاد الشامية، فوجدوا أبواب القاهرة مقفولة، فحرقوا باب القراطين وخرجوا منه، فمن ذلك اليوم سمى الباب المحروق[٢].

ثم احتاط على موجودهم وأطلعه إلى القلعة، وخمدت الفتنة بعد هروب الأمراء الذين يخشى منهم[٣].

ثم لما صفا له الوقت قبض على شريكه فى السلطنة مظفر الدين يوسف بن مسعود بن أيوب وسجنه بالقلعة وانفرد بالسلطنة وحده.

ثم إن زوجته شجر الدر صارت تمن عليه وتقول: لولا أنا ما وصلت إلى هذه المرتبة، ثم إنها ألزمته أن يطلق زوجته أم ولده فامتنع من ذلك، وخرج غضبان منها حتى جاء إلى مناظر اللوق أقام بها أيامًا، فأرسلت له من يتلطف به ويدخله عليها، فلما زال غيظه ركب مع الرسول ونزل بالقلعة فى قصر شجر الدر، فلما دخل إليها قامت له مسرعة وقبّلت أقدامه وأزالت ما عنده[٤].

ثم إن شجر الدر أضمرت الحقد لأنها كانت تركية الجنس، سيئة الخُلُق، شديدة الغيرة، قوية البأس، ذات شهامة زائدة، وحرمة وافرة، معجبة بنفسها[٥].

وكان هو يميل إلى أم ولده على أكثر بالمحبة فبسبب ذلك أضمرت أن تقتله، ثم

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩١.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩١، ٢٩٢.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٢.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٣.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٣.

تواطأت مع خمسة طواشية بيض روم على قتله، ثم إنها أدخلته الحمام ودخلت معه، والطواشية وبأيديهم السيوف فقام إليها وقبّل يديها، وقال لها: أعفينى من القتل وأنا أطلق أم علی، فقامت شجر الدر إلى الخدامين ودفعتهم عنه، فقالوا لها: إن أبقيتيه قتلك وقتلنا ولم يبق منا أحدًا، ثم قتلوه خنقًا وأشاعوا موته، وقالوا: إنه أغمى عليه فى الحمام ثم أخرجوه من الحمام وغسّلوه وصلّوْا عليه ودفنوه بالقرافة بين أقاربه[١].

ثم شاع الخبر بخنقه وتحققوا أن قتله من شجر الدر، فركب ولده على ومعه المماليك المعزية وطلعوا معه إلى القلعة وقبض على شجر الدر وسلمها إلى أمه، فأمرت جواريها أن يقتلوها بالقباقيب والنعال، فضربوها بذلك إلى أن ماتت وفارقت الدنيا، ثم سحبوها من رجليها وأرموا بها من فوق السور فوقعت فى الخندق عريانة ليس فى وسطها غير اللباس فقط، فمكثت ثلاثة أيام لم تُدفن[٢].

ثم إن رجلا نزل عليها ليلاً وحل تكة لباسها وكانت حريراً وفيها ثلاث أكر لؤلؤ وياقوت ونافجة مسك[٣].

ثم بعد ذلك حُملت ودُفنت فى تربتها بجوار بيت الخليفة قريبًا من مقام السيدة نفيسة[٤].

وكانت من جوارى الملك الصالح نجم الدين أيوب، ولدت منه خليلا، ثم أعتقها وتزوج بها، وأقامت معه مدة طويلة بالشام[٥].

ثم جاءت معه إلى مصر، ثم تسلطن أستاذها الملك الصالح فعظمت عنده، ثم صارت تدبر أمور مملكة الديار المصرية إذا كان غائبًا فى الغزوات وينفذ حكمها، ومراسيمها مسموعة وعلامتها كانت: والدة خليل[٦].

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٣، ٢٩٤.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٤.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٤.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٥.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٥.
(٦) الوافى بالوفيات ج ١٦ ص ١٢٠ بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٥.

وكانت لها صدقات وخيرات وأوقاف على جهات الخير والقربات[١].

وكان قتلها فى يوم الثلاثاء خامس عشرين ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وستمائة[٢].

وكان الملك أيبك أول ملوك الترك، وبعده ابنه فى السلطنة سبع سنين، ومدة ولاية الأشرف يوسف شريكه سنة وثلاثة أشهر[٣].

[سلطنة الملك المنصور نور الدين على ابن الملك المعز أيبك التركمانى]

ثم تولى من بعده الملك المنصور نور الدين على بن أيبك التركمانى الصالحى، وهو الثانى من ملوك الترك، سادس عشرين ربيع الأول سنة خمس وخمسين وستمائة، وعمره إحدى عشرة سنة[٤].

وكان وزيره شرف الدين صاعد الفائزى، كان وزيراً لأبيه المعز أيضًا، وكان اسمه هبة الله، وأصله من أبناء القبط ثم أسلم فى دولة الملك الكامل محمد، ولا زال يرتقى حتى صار وزيراً بالديار المصرية.

ذكر أسماء ملوك الترك والجراكسة:

أولهم أيبك، وقطز، وبيبرس، وقلاوون، وكتبغا، ولاجين، وبرقوق، وبرسباى، وططز، وجقْمق، وأينال، وخُوشقَدم، وبلباى، وتَمَرْبغا، وقايتباى، وقانصوه، وجان بلاط، وطومان باى، وقانصوه الغورى.

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٥.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٥.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٥.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٦ ولديه: «إحدى وعشرين سنة» وفى الخطط ج ٢ ص ٢٣٨ «وعمره خمس عشرة سنة».

[سلطنة الملك المظفر سيف الدين قطز المعزى]

ثم إن الملك المنصور على ولَّى الأمير سيف الدين قطز المعزى نائب السلطنة بمصر وأتابك العساكر، وكان قطز شديد البأس صعب الخُلق، فقبض على شرف الدين هبة الله الوزير وأخذ جميع أمواله ثم صلبه على باب القلعة[١].

وأخلع على القاضى زين الدين يعقوب بن الزبير وجعله وزيراً مكانه[٢].

ثم جاءت الأخبار إلى الملك المنصور على بأن شخصًا يسمى هولاكو، ملك التتار، وصل إلى أطراف دمشق بعد أن أخرب بغداد وحلب وقتل أممًا وخلائق لا تُعَدُّ ولا تُحصَى، وقتل الخليفة المستعصم بالله ببغداد[٣].

وقد حضر من عنده أمير من أمرائه وبيده كتاب مكتوب فيه: من ملك الملوك شرقًا وغربًا، الخاقان الأعظم، هولاكو، ووصف نفسه بألقاب عظيمة، وسطوة شديدة، وكثرة عساكر، وفى كتابه يقول: يا أهل مصر لا تقاتلونى، فإنه ليس لكم قدرة على ملاقاتى، وصونوا دماءكم، ولا تكونوا مثل أهل بغداد وأهل حلب وغيرهم[٤].

فلما سمع الملك المظفر قطز هذه الألفاظ المهولة عسر عليه ذلك وجمع الأمراء والعساكر والعربان وخلائق لا تُعَدُّ ولا تُحصَى، ثم جمع الأموال عن كل رأس ديناراً وأخذ من الأموال أجرة شهر، ومن الغيطان كذلك، فكان من جملة ما جمعه من الأموال ستمائة ألف دينار[٥].

ثم أصرف على العساكر والعربان الجوامك وأبرز وطاقه[٦] إلى خارج الريدانية، وأقام

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠١.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠١.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠١.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠٤، ٣٠٥.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠٥.
(٦) الوطاق: الخيمة الكبيرة التى تعد للعظماء.

هناك حتى اجتمعت العساكر ثم نادى بالرحيل، فرحل فى آخر شعبان سنة ثمان وخمسين وستمائة، وجَدَّ فى السير إلى أن وصل إلى عين جالوت من أرض كنعان، فالتقيا ووقع القتال واقتتلوا قتالاً عظيمًا، وقُتل بينهم خلق عظيم لا يُحصَى لهم عدد[١].

ثم إن هولاكو ركن إلى الفرار وولى الأدبار، فانكسر ومن معه وهربوا، ثم إن المسلمين رجعوا بعد أن أفنوا من عسكر هولاكو أكثر من النصف، وما نجا منهم إلا الشريد، واغتنم المسلمون منهم غنائم لا يكاد يوجد مثلها فى الإسلام وانكسر هولاكو ومن معه من التتار وهربوا[٢].

ثم رجعوا واقتتلوا حتى قُتل منهم النصف، ورجعوا هاربين وغنم المسلمون غنائم عظيمة لا تحصر[٣].

ورجع السلطان قطز منصوراً مؤيداً إلى أن وصل إلى الشام، وجلس على الكرسى وحكم وعزل وولى، ورحل من الشام إلى أن وصل إلى الصالحية فجلس فيها، ثم أضمر العسكر على قتله، وكان المشار إليه فى ذلك الوقت الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى، فركب السلطان قطز وخرج يسير فى الفلاة فرأى أرنبًا، فساق خلفه، ثم ركبوا الأمراء وساقوا خلفه، فلما وصلوا إليه تقدم إليه الأمير ومدّيده فظن السلطان أنه يريد أن يقبل يده لكون أنه قد أعطاه جارية عظيمة من جوارى التتار، فمد السلطان يده لبيبرس فقبض عليه بيبرس وضرب عنقه بسيف كان معه[٤].

فساق بيبرس ومن معه من الأمراء بأسلحتهم حتى طلعوا إلى القلعة، وجلس بيبرس على كرسى الملك سلطانًا وباسوا الأمراء له الأرض وأعطوه الطاعة[٥].

ثم إن بعض الأمراء شق عليهم قتل السلطان بغير ذنب، وكان خيار ملوك الترك، وله

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠٦.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠٦.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠٦.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠٧.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠٧.

اليد العليا عليهم، فكانت قتلته يوم الحادى عشر من شهر ذى القعدة الحرام، سنة ثمان وخمسين وستمائة، ثم حُمل ودُفن قريبًا من زاوية الشيخ خلف[١].

وكانت مدة أيام ولايته سنة إلا أيامًا[٢].

[سلطنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس]

وتسلطن بعده الظاهر بيبرس أبو الفتوحات.

وهو الرابع من ملوك الترك[٣].

أصله تركى، اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب وأعتقه، وكان شجاعًا بطلاً، لا زالت الأقدار تساعده حتى وصل إلى ما وصل إليه[٤].

ثم إنه لما صار سلطانًا أخلع على الأمراء، وولى من ولى وعزل من عزل[٥].

ثم جعل الصاحب بهاء الدين وزيراً، وهو الذى بنى رباط الآثار النبوى المطل على بحر النيل، واشترى الآثار الشريفة بجملة من المال، وأودعها فى ذلك المكان الذى أنشأه، وصارت الناس يأتون إليه فى كل يوم أربعاء للزيارة[٦].

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠٧.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠٨.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠٨.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠٩.
(٥) ابن إياس ج١ ق١ ص٣٠٩.
(٦) ليس بهاء الدين بن حنا بانى الآثار، فلدى المقريزى في الخطط ج ٢ ص ٤٢٩ «رباط الآثار: هذا الرباط خارج مصر بالقرب من بركة الحبش مطل على النيل ومجاور للبستان المعروف بالمعشوق قال ابن المتوج: هذا الرباط عمّره الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين ولد الصاحب بهاء الدين على بن حنا بجوار بستان المعشوق، ومات رحمه الله قبل تكملته، ووصى أن يكمل من ريع بستان المعشوق، فإذا كملت عمارته يوقف عليه، ووصى الفقيه عز الدين بن مسكين فعمّر فيه شيئا يسيرا، وأدركه الموت إلى رحمة الله تعالى، وشرح الصاحب ناصر الدين محمد ولد الصاحب تاج الدين فى تكملته فعمر فيه شيئا جيدا.
وإنما قيل له رباط الآثار، لأن فيه قطعة خشب وحديد يقال إن ذلك من آثار رسول الله ﷺ اشتراها الصاحب تاج الدين المذكور بمبلغ ستين ألف درهم فضة... وحملها إلى هذا الرباط وهى به إلى اليوم يتبرك الناس بها ويعتقدون النفع بها.

ثم تولى مملوكه بَيْلِيك الخازندار ولقبه بالأمير بدر الدين، وفوض إليه سائر أمور السلطنة بمصر(١).

وذكر الشيخ صلاح الدين الصفدى فى «تذكرته» أن الأمير بدر الدين بيليك الخازندار، أشتراه الملك الظاهر بيبرس صغيراً ورباه، وكان الملك الظاهر أمير عشرة، واستمر فى خدمته حتى صار سلطانًا، قيل: إن التاجر الذى باع الأمير بيليك للملك الظاهر كان فى ثروة عظيمة ثم افتقر حتى صار يتعاطى الصدقة(٢).

ثم لما حضر إلى مصر سمع أخبار مملوكه الذى باعه للملك الظاهر قديمًا وما وصل إليه من الرتبة العلية، كتب له قصته وقدمها إليه وعرَّفه بنفسه وما صار إليه من الفقر، فلما قرأها بيليك وعرفه قام إليه واعتنقه وأجلسه بجنبه، وأخلع عليه خلعة سنية، ودفع له عشرة آلاف دينار وفرسًا وعبدًا وجارية، وأكرمه إكرامًا عظيمًا(٣).

ثم إن بعض المماليك كانوا متخوفين هاربين فى البلاد، فكتب إليهم مراسيم بالأمان، وحضروا بين يديه، وأحسن إليهم.

وأبطل سائر ما تجدد من المظالم بمصر، وكتب بذلك مراسيم وقُرئت على المنابر فى المساجد، واستجلب خواطر الرعية بالمعونة وألسنتهم بالثناء والدعاء(٤).

ثم دخلت:

سنة ستين وستمائة

فيها فى تاسع صفر جاء شخص من العربان يسمى عيسى بن مهنا معه جماعة من العربان، ومعهم شخص من ذرية بنى العباس يسمى الإمام أحمد ابن أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله، وهو عم الخليفة المستعصم بالله، وأخو الخليفة المستنصر بالله، وكان معتقلاً ببغداد عند جماعة من عربان العراق، ثم حضر إلى مصر مع جماعة من العربان.

فلما بلغ الملك الظاهر وصوله إلى العكرشا خرج إلى تلقيه... ثم إن الملك الظاهر

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣١٠.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣١١.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣١١.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣١١.

قصد أن يثبت نسب الإمــام أحمد فأمر بعقد مجلس. . . فلمـا قامت البينة بذلك ثبت على قاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعز، وسجله على نفسه وحكم بصحته[١].

ثم إنه بايع الملك الظاهر بيـبرس أبا الفتـوحات بالسلطنة وبايع سائر الأمـراء على قدر طبقاتهم[٢].

فلما كان يوم الجمعة أمر الملك الظاهر بيبرس الإمام أحمد الخليفة بأن يخطب ويصلى بالناس صلاة الجمعة، واجتمعوا سائر القضاة والعلماء والأمراء والعساكر فى جامع القلعة، فخطب الإمـام أحمـد خطبة عظيـمة أثنى فـيها على فـضل الملك الظاهر بيـبرس الذى رد الخلافة لبنى العباس، بعد أن كانت قـد انقطعت منهم، وبطل ذكرهم كما بطل ذكر الخلفاء الأموية، وغيرهم.

وقد ورد فى الأخبار أن الخلافة لا تزال فى بنى العـباس حتى يأتى عيسى بن مريم ثم تنقطع بعد ذلك[٣].

[ثم دخلت:

سنة إحدى وستين وستمائة

فيها جاءت الأخبار بوصول شخص آخر من بنى العباس، يقال له: الإمام أحمد أيضًا، غير السابق الذى قُتل، وكان مستخفيًا عند جماعة من العرب فى بعض أعمال بغداد، فسبقه الإمام أحمد المقدم ذكره، وكان الإمـام أحمد الذى قدم أولاً من أولاد الخليفة الظاهر بأمر الله، وهذا من أولاد الخليفة المسترشد بالله ابن المستظهر ابن المقتدى بن محمد الذخيرة، فلما وصل إلى المطرية خرج السلطان والأمراء إلى تـلقيه، فطلع مع السلطان إلى القلعة، وأنزله بالبرج الكبير الذى بالقلعة. . . فأقام أيامًا، ثم عقد السلطان مجلسًا ثانيًا، وأثبت نسبه كما فعل بالإمام أحمد الأول، فلما ثبت نسبه، ولوه الخلافة، ولقّبوه بالحاكم بأمر الله، ثم

---

(١) فى النص اضطراب وتقديم وتأخير وتصحيف، وقد اعتمدنا فى ترتيبه وتصويبه على ما جاء ببدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣١٢.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣١٤.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣١٢، ٣١٣.

رسم له السلطان أن يسكن فى مناظر الكبش، وكانت مطلة على بحر النيل، ورتب له ما يكفيه فى كل شهر، ورسم السلطان للخليفة أن يطلع إلى القلعة عند مستهل كل شهر، ويهنئ السلطان بالشهر، والإمام أحمد هذا هو أول خلفاء بنى العباس بمصر، وإليه تنسب الخلفاء إلى يومنا هذا، فهو جدهم على الإطلاق، وهذا سبب نقل الخلافة من بغداد إلى مصر على يد الملك الظاهر بيبرس البندقدارى](١).

ثم إنه قبل ذلك كان قاض شافعى يولى النواب يحكمون على قاعدة المذاهب الثلاثة فأبطل ذلك الملك الظاهر، وولى أربعة قضاة كبار، لكل مذهب قاض يتولى من تحت يده نواب يحكمون، وذلك فى أواخر سنة اثنتين وستين وستمائة(٢).

وفى أول سنة إحدى وستين وستمائة رتب لعب القبق، ووقع فى تلك السنة غلاء عظيم حتى عُدمت فيها الأقوات، وضجت الفقراء، فأمر السلطان أن يجمعهم، فجمعوا فكانوا ألفى فقير، ففرقهم على نفسه وعلى الأمراء، وعلى ولده الملك السعيد محمد، وعلى الأمير بيليك الخازندار، وجعل على كل واحد جماعة من الفقراء، لكل فقير رطلين من الخبز ونصف رطل من اللحم، ومنعهم من سؤال الناس أصلاً(٣).

ثم إن السلطان أقام وليمة عرس لختان ابنه المذكور، وأمر سائر الأمراء والجند وبقية الرعية أن كل من كان له ولد بلا ختان يطلع به إلى القلعة يختنه مع ابن السلطان، فكان عدتهم ألف وستمائة وخمسة وأربعين غلامًا، خارجًا عن أولاد الأمراء والأعيان، ورسم لكل و احد منهم بكسوة على قدر طبقاتهم ومقام آبائهم.

وأما أولاد الحرافيش فرسم لكل واحد منهم بكسوة ومائة درهم ورأس غنم، واستمر المهم سبعة أيام فى القلعة(٤).

ثم لما دخلت سنة ثلاث وستين وستمائة كثر الحريق بمصر وأشيع الخبر أن ذلك من فعل النصارى فأمر السلطان بحرق جميع النصارى.

---

(١) ما بين الحاصرتين فيه اضطراب وسقط وتحريف فى الأصل، وقد اعتمدنا فى ترتيبه وتكملته وتصويبه على ما جاء ببدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٢٠، ٣٢١.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٢١.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣١٩.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٢٢.

فلما تحققوا بأنهم محروقون بلا ريب سألوا أن يدفعوا خمسين ألف دينار تُصرف على ما فسد من الدور التى أُحرقت، وذلك على يد فارس آقطاى الأتابكى المستعرب، فشفع آقطاى فيهم عند السلطان فعفا عنهم من الحرق ووزنوا المال وصُرف على إصلاح ما فسد[١].

ثم سافر السلطان إلى مدينة سيس فحاصروها وسلموها له بالأمان[٢].

وفتح عدة قلاع كانت مع الأرمن، ثم لما رجع السلطان إلى مصر منصوراً فى سنة خمس وستين وستمائة أبطل بيوت الحشيش وأحرقها، وبيوت المسكرات، وكسر أوانيها، ومنع الحانات من الخواطى[٣].

ثم فى سنة ست وستين وستمائة توجه السلطان إلى نحو الشام، وحاصر مدينة يافا والثقيف ففتحهما، ثم توجه إلى أنطاكية ففتحها يوم الجمعة ثالث شهر رمضان من السنة المذكورة، ثم توجه إلى بغراس ففتحها، ورجع إلى مصر مؤيداً منصوراً، وزينت له القاهرة[٤].

ثم دخلت:

سنة سبع وستين وستمائة

فحج فيها الملك الظاهر بيبرس هو وولده، وكانت الوقفة الجمعة[٥].

ثم رجع إلى الشام ورجع ابنه الملك السعيد مع الركب المصرى[٦].

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٢٤.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٢٥.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٢٦.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٠.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٠.
(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣١.

ثم دخلت:

سنة ثمان وستين وستمائة

فيها رجع السلطـان إلى القاهرة وأقام بها إلى شعبان ثم توجـه إلى زيارة بيت المقدس والخليل، عليه السلام، فزارهما ورجع إلى مصر[١].

ثم دخلت:

سنة تسع وستين وستمائة

فيـها أرسل صاحب طـرابلس تقدمة عظيـمة للسلطان فـقبلها فـأقره على مـا بيده من البلاد[٢].

ثم إن السلطان رتب خيل البريد فى الطرقات الشاميـة بسبب إسراع مجىء أخبار البلاد الشامية للسلطان، فكان يجىء الخبر فى الجمعة مرتين[٣].

وكان للخيل سواقين فى الطرقات بجـوامك، ولا يقدر أحد يركبها إلا برسم السلطان، وفى كل مركز زاد وعليق للمسافرين[٤].

وكان الملك الظاهر يعمل موكبين: موكبًا بمـصر وموكبا بالشام، ويومًا بالفرات ويومًا بحلب[٥].

واستمر مدة طويلة على ذلك، إلى دولة الملك الناصر فرج بن برقوق فبطل ذلك عند قدوم تمرلنك لما خرب البلاد الشامية، وذلك سنة ثلاث وثمانمائة[٦].

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣١.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣١.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣١.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٢.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٢.
(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٢.

ثم دخلت:

سنة سبعين وستمائة

فيها جاءت الأخبار بأن التتار تحركوا على البلاد ووصلوا إلى الفرات وملكوا إِلْبيرَةَ، فخرج إليهم السلطان ومعه الأمراد وكان جاليش[1] العسكر الأمير قلاوون الألفى والأمير بيسرى، فتلاقوا مع التتار على الفرات، ووقعت بينهم مقتلة عظيمة، وقتل منهم خلق لا يعلم عددهم إلا الله تعالى،. وأسر منهم خلق كثير[2].

فلما دخل السلطان إلى إِلبيرة أخلع على نائبها وفرَّق على أهلها مالاً عظيمًا حتى أغناهم، ورجع إلى مصر بعد أن غنم مغنمًا جزيلاً، وزُيِّنَت له مصر، وحمل على رأسه القبة والطير[3].

ثم دخلت:

سنة إحدى وسبعين وستمائة

فيها هجم الوباء على مصر، فنى منها خلق كثير، فأقام ستة أشهر[4].

ثم دخلت:

سنة اثنتين وسبعين وستمائة

فيها توفى الشيخ عبد العظيم الجزار، وكان من فحول الشعراء[5].

وعاصر الشيخ أثير الدين أبا حيان المغربى، والشيخ قطب الدين القسطلانى، وغيرهم من العلماء.

---

(١) الجاليش: راية عظيمة فى رأسها خصلة من الشعر تحمل فى مواكب السلطان، لا سيما المواكب الخاصة بالحرب. وكان المماليك يطلقون اللفظ أيضا على الطليعة من الجيش.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٢.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٢.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٣.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٣.

ثم دخلت:

سنة ثلاث وسبعين وستمائة

فيها زوَّج السلطان ابنه ببنت الأمير سيف الدين قلاوون الألفى، وكان مهما عظيمًا أقام سبعة أيام بالقلعة، وكان السلطان يظن أنه إذا أزوج ابنه ببنت الأمير قلاوون يكون له عونًا عند تقلبات الزمان، فأُخذ من الجانب الذى اعتمد عليه[١].

ثم دخلت:

سنة أربع وسبعين وستمائة

فيها جرد السلطان إلى بلاد النوبة تجريدة عظيمة، أرسل فيها الأمير سنقر الفارقانى أستادار العالية، وعز الدين أيبك الأفرم، وجماعة من الأمراء[٢].

فلما وصلوا إلى النوبة تقاتلوا معهم قتالاً عظيمًا على أسوان، وقتل من عسكر ملك النوبة خلق كثير لا يُعَدُّ ولا يُحْصَى، وغنموا منهم غنائم عظيمة، ورجعوا منصورين، وكان لهم يوم مشهود عند دخولهم مصر[٣].

ثم دخلت:

سنة خمس وسبعين وستمائة

فيها توفى سيدى أحمد البدوى، أبو الفتيان، كان يحفظ القرآن ويشتغل بالعلم، ثم حصل له جذب بعد ذلك[٤].

ثم دخلت:

سنة ست وسبعين وستمائة

فيها دخل السلطان إلى حلب، أقام بها أيامًا ثم توعك جسده وأخذته الحمى، وتسلسل له المرض، فمازال به الوجع يزيد حتى أسقوه حكماء حلب دواء مسهلاً فأفرط فى الإسهال

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٥.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٥.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٥.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٥.

فزاد به المرض، فرحل من حلب إلى الشام، فمات فى بعض ضياع دمشق، فكتموا موته عن العسكر وحُمل إلى أن دخل دمشق فدُفن فيها ليلاً، ولم يشعر أحد من الناس، وكان موته يوم الخميس ثامن عشرين شهر الله المحرم الحرام سنة ست وسبعين وستمائة، وكان عمره إذ ذاك ستين سنة(١).

وكان رجلاً يحب الخير ويكثر من القربات فى سبيل الله، وكان مهما حصل له من الغنائم يفرقه على العسكر، كريمًا سخيًا مهابًا، يسمى أبو الفتوحات لكثرة ما فتح الله على يديه من بلاد الكفار، وكان حسن الشكل، طويل القامة، مستدير اللحية، الغالب فيها البياض، وكان منقاداً للشريعة، يحب العلماء والصلحاء، ويحب فعل الخيرات والمعروف، وكان من خيار الترك بمصر(٢).

ثم إن الأمراء وسائر العسكر لم يشهر موته حتى وصلوا مصر فأشهروا موته، وكانت مدة سلطنته بمصر والشام سبع عشرة سنة وشهرين ونصفا(٣).

وخلف من الأولاد عشرة: ثلاثة ذكور، وهم: الملك السعيد محمد، والملك العادل سلامش، وسيدى خضر الذى لم يتسلطن، وسبع بنات(٤).

وأما البلاد التى فُتحت فى أيامه فقيسارية، وأرْسُوف، وصَفَد، وطبرية، ويافا، والشقيف، وأنطاكية، وبَغراس، والقُصَيْر، وحصن الأكراد، والقُرَيْن، وحصن عكا، وصافيثا، ومَرَقِيَّة، وحلباء، وبانياس، وطرسوس، وكل هذه البلاد كانت مع الفرنج(٥).

وفتح فى بلاد الشرق مدينة سيس، أخذها بالأمان، ودَرْكُوش، وتلميش، ورَعْبَان، ومرزبان، وكينوك، وأدنة، والمصيصة(٦).

وأما الذى صار إليه من بلاد المسلمين فدمشق، وبعلبك، وقلعة الصبيبة، وقلعة شيزر، وعَجْلون، وبُصْرَى، وصَرْخَد، والصَّلْت، وحمص، وتَدْمُر، والرَّحْبَة، وتل

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٨.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤١.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٨.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٩.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٩.
(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٩.

باشر، والخَوابى، وصِهيون، وقلعة الكهف، والقَدَموس، والكَرَك، والشُّوبَك، وبيت المقدس، ومدينة الخليل، عليه السلام[١].

وأما ما افتتحه من بلاد السودان وهى: النوبة وأعمالها، وقلعة العميدين، من أعمال برقة، وعدة جزائر من أعمال الجنادل[٢].

وأما ما أنشأه من العمائر فإنه جدد عمارة الحرم النبوى، وجدد عمارة قبة الصخرة ببيت المقدس، وزاد فى أوقاف الخليل[٣].

وأما ما أنشأه بالديار المصرية، فمن ذلك قناطر شبرامنت بالجيزة، وعمَّر سور مدينة الإسكندرية، وجدد بناء المنار الذى بها، وعمَّر المنار الذى بثغر رشيد، وردم فم بحر دمياط بالقرابيص حتى لا تدخل منه مراكب النصارى[٤].

وعمَّر الشوانى وأعادها كما كانت عليه، وحفر بحر أشموم طناح، وعمَّر القلاع التى ببلاد الشرق، التى كان أخربها هولاكو ملك التتار[٥].

وعمَّر مدرسة بدمشق، والمدرسة التى بين القصرين بجوار الصالحية، والجامع الكبير الذى بالحسينية، عمَّره من وجه حل من مال الغنائم[٦].

وجدد عمارة الجامع الأزهر بعد أن خرب وانقطعت منه الخطبة مدة طويلة، فأعادها كما كانت، وعمَّر القصر الأبلق بدمشق، وعمَّر خانًا بالقدس الشريف، وحفر خليج الإسكندرية بنفسه، وأنشأ ضيعة على فم وادى العباسة، وسماها بالظاهرية[٧].

وأخباره شهيرة كثيرة فى عدة من التواريخ.

ومن عمارته قناطر أبى المُنَجَّا، وقناطر السباع، والبرج الكبير الذى بالقلعة بمصر بخرائب التتار.

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٩.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٠.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٠.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق١ ص ٣٤٠.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٠.
(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٠.
(٧) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٠.

[سلطنة الملك السعيد أبى المعالى

محمد ابن الملك الظاهر بيبرس]

ثم تسلطن ولده الملك السعيد أبو المعالى، محمد بركة خان، ابن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى النجمى.

وهو الخامس من ملوك الترك بالديار المصرية.

بويع بالسلطنة بعد مـوت أبيه، وجعل وزيره الأمير بدر الدين بيليك الخازندار، نائب السلطنة وحلفوا له الأمـراء أنهم لا يخونوه أصلا، ومشى على مشى والده، واستمر على ذلك مدة يسيرة[١].

ثم إن الأمير بيليك مرض فى أثناء ذلك، وسلسل فى المرض حتى مات[٢].

فلما مات استقل الملك السعيد برأيه وتدبيره، فطاش عقله وقبض على بعض الأمراء فسجنهم، ثم ولى الأمير آق سنقر الفارقانى، نائب السلطنة عوضًا عن الأمير المتوفى، ثم أقام مدة يسيرة وقُبض عليه وسُجن بثغر الإسكندرية، ثم أرسل إليهْ فخنقه فى السجن ودفن هناك[٣].

ثم دخلت:

سنة سبع وسبعين وستمائة

وفيها جاءت الأخبار من الشام إلى مصر بأن نائب الشام خرج عن الطاعة، فجرد إليه الملك السعيد وتوجه إلى الشام، فنزل فى القصر الأبلق الذى أنشأه والده الملك الظاهر[٤].

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٢.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٣.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٣.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٤.

ثم ان الأمراء خامروا عليه بعد أن سمعوا عنه أنه يريد أن يقبض على جماعة منهم، فخرجوا متوجهين إلى مصر، فخرج السلطان فى طلبهم، فلم يزالوا حتى وصلوا إلى مصر، وطلع الملك السعيد إلى قلعة الجبل واجتمع الأمراء مع بعضهم، وصاروا كلمة واحدة وأقاموا تحت القلعة يحاصرونه حتى جاءهم الخليفة يصلح فيما بينهم، فامتنعوا من الصلح وقالوا: لا نصالح إلا أن يخلع نفسه من السلطنة، ثم يتوجه فى يومه إلى الكرك يقيم بها، فعند ذلك أرسل الملك السعيد إلى القضاة والشهود وأشهد على نفسه أنه خلع نفسه، ثم إنه تجهز ورحل إلى الكرك[١].

ثم دخلت:

سنة ثمان وسبعين وستمائة

وفيها جاءت الأخبار من الكرك إلى مصر بأن الملك السعيد توفى إلى رحمة الله تعالى، وسبب موته أنه ركب يومًا من الأيام يلعب بالأكرة فى ميدان الكرك، فتقطّر من فوق الفرس فوقع ثم مات، وحُمل إلى دمشق ودُفن عند أبيه الملك الظاهر[٢].

وكان صغيراً فى السن حسن المنظر كريمًا، مطلوق اليد لمن يعرفه ومن لا يعرفه[٣].

[سلطنة الملك العادل سيف الدين سلامش]

ثم تولى من بعده أخوه الملك العادل سيف الدين سلامش ابن الظاهر بيبرس البندقدارى[٤].

وهو السادس من ملوك الترك، كان يسمى ابن البدوية، تسلطن وعمره سبع سنين[٥].

وولى قلاوون الألفى أتابك على العساكر، فكان يخطب باسمهما على المنابر، وكان

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٤ - ٣٤٥.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٦.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٦.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٦.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٦.

الحكم كله للألفى ليس للولد كلام مع قلاوون الألفى، وإنما الأمر والنهى كله لقلاوون[١].

ثم أقام مدة يسيرة، ثم خلع الملك العادل سلامش من السلطنة وأرسله إلى قلعة الكرك، وأرسل معه أخوه سيدى خضر فأقاما مدة[٢].

ثم إن الملك الأشرف خليل بن قلاوون لما تولى أرسلهما إلى القسطنطينية، فكانت مدة الملك العادل سلامش بالديار المصرية خمسة أشهر[٣].

[سلطنة الملك المنصور سيف الدين أبى المعالى قلاوون الألفى]

ولما خلع سلامش من السلطنة حصل عند الناس غم شديد.

ثم تولى من بعد قلاوون ولقب بالملك المنصور سيف الدين أبى المعالى قلاوون الألفى الصالحى النجمى[٤].

وهو السابع من ملوك الترك، وتسلطن بعد خلع الملك العادل سلامش وجلس مدة[٥].

ثم دخلت:

سنة إحدى وثمانين وستمائة

فيها تزوج السلطان الملك المنصور قلاوون بخوند أشلون بنت الأمير نكاى، وكان لهم مهم عظيم[٦].

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٦.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٧.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٧.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٧.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٧.
(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٥١.

ثم توفى فى السنة المذكورة مجير الدين محمد بن غنيم الدمشقى الشاعر العالم، وتوفى أيضًا الشيخ بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى الشاعر العالم[١].

ثم دخلت:

سنة اثنتين وثمانين وستمائة

فيها ابتدأ الملك المنصور قلاوون بعمارة القبة التى بين القصرين والمدرسة وأضاف إلى ذلك قاعة القبطيين وسماه البيمارستان المنصورى، وانتهت العمارة فى عشرة أشهر[٢].

وجعل له فى كل يوم راتبًا ألف دينار، وأوقف عليه ضياعًا وأملاكًا وبساتين، وشرط فى وقفه أشياء كثيرة من أنواع الخير والبر والقربات ما لا فعله أحد من الملوك السابقة لا قبله ولا بعده[٣].

وسبب بناء هذا البيمارستان أن الملك المنصور أمر مماليكه أن يضعوا السيف فى العوام لأمر أغضبه، فقتلوا ثلاثة أيام وفنى منهم خلق لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى، وقتل الصالح مع الطالح، ثم طلعوا القضاة والعلماء والصلحاء إلى السلطان وشفعوا فيهم، فرفع عنهم السيف وعفا عنهم[٤].

ثم بعد مدة فعل السلطان هذه الخيرات ليكفر الله عنه بذلك، إن شاء الله تعالى ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾[٥].

ثم دخلت:

سنة ثلاث وثمانين وستمائة

فخرج فيها السلطان إلى الشام، وأخذ حصن المرقب بالأمان بعد أن حاصر أهله ثمانية وثلاثين يومًا[٦].

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٥٢.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٥٣.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٥٣.
(٤) ابن إياس ج١ ق١ ص٣٥٤.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٥٤.
(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٥٤.

ثم دخلت:

سنة أربع وثمانين وستمائة

فيها أرسل السلطان الأمير طرنطاى نائب السلطنة إلى حصار سنقر الأشقر نائب الشام، الذى كان عصى وخالف وتسلطن هناك، فلما وصل إليه الأمير طرنطاى حاصره أشد المحاصرة، ثم طلب الأمان فأعطاه الأمان وحلف له وأحضره إلى مصر، وخرج له السلطان ولاقاه بالمطرية وطلع إلى القلعة وأكرمه غاية الإكرام، وكان يومًا مشهودًا[١].

ثم دخلت:

سنة خمس وثمانين وستمائة

فيها عزل السلطان وزيره علم الدين سنجر الشجاعى وأخذ جميع أمواله، وعاقبه عقوبة عظيمة، وولى مملوكه الأمير بدر الدين بيدرا وزيرًا غيره[٢].

ثم إن السلطان سلطن ولده نور الدين عليًا ولقَّبه بالملك الصالح ليكون عوضه بمصر إذا سافر، فإنه كان كثير الأسفار[٣].

ثم إن الملك الصالح عليا مرض مرضًا شديدًا بحمى الكبد[٤].

ثم توفى ليلة الجمعة رابع شعبان سنة سبع وثمانين وستمائة، فحزن عليه والده حزنًا شديدًا، ثم غسَّلوه وكفَّنوه وصلُّوا عليه ودُفن عند والدته خوند خاتون التى بجوار المدرسة الأشرفية، التى بطريق السيدة نفيسة، وكان يومًا مشهودًا[٥].

وخلَّف ولدًا ذكرًا يسمى الأمير موسى[٦].

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٥٥.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٥٦.
(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٥٧.
(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٥٧.
(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٥٨.
(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٥٨.

ثم إن السلطان مرض وسلسل فى المرض حتى مات، فغسَّلوه وكفَّنوه، وصلَّوْا عليه ووضعوه فى تابوت، وحملوه بعد العشاء وسائر الأمراء والقضاة والعلماء، والفقهاء والصلحاء وأعيان الناس مشاة قدامه إلى أن جاءوا به إلى البيمارستان فصلَّوْا عليه، ودُفِن داخل القبة التى تجاه مدرسة الملك الظاهر بيبرس ليلة السبت سادس ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة[١].

وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر وستة أيام، وكأنه لم يكن[٢].

وخلَّف ثلاثة أولاد ذكور، وهم: الأشرف خليل، والناصر محمد، والأمير أحمد، وُلد بعد موت أبيه[٣].

وكان الملك المنصور قلاوون حسن الشكل مربوعًا، درى اللون، قليل الكلام بالعربى، شجاعًا بطلاً عارفًا بالحرب، مغرمًا بشراء المماليك، فاجتمع عنده فى ملكه اثنا عشر ألف مملوك[٤].

قيل: إنه غيَّر تلك الملابس الشنيعة لأنهم كانوا يلفون على رءوسهم عمائم بصوف أزرق بلا شاشات، فأمرهم أن لا يلبسوا إلا عمائم بشاشات بيض.

وهو الذى لف الكلوتة بالشاش[٥].

وشرط فى وقفه فى كل ليلة أربعة آلاتية يضربون بالعود وآلات الملاهى عند الضعفاء فى المارستان، وجعل لهم جوامك حتى يسامروا الضعفاء.

وشرط إردبين قمحًا طيبًا ترمى فوق القبة بسبب الطيور، أثابه الله تعالى على ذلك الثواب الجزيل، إنه كريم.

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٦٠ -٣٦١.
(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٦١.
(٣) بدائع الزهور ج١ ق١ ص٣٦١.
(٤) بدائع الزهور ج١ ق١ ص ٣٦١.
(٥) بدائع الزهور ج١ ق١ ص ٣٦٢، والكلْوتة: وجمعها كلوتات، غطاء الرأس، طاقية صغيرة تلبس وحدها أو بعمامة، وتسمى أيضا كلفه وكلفتاه وكلفته.

[ذكر ملوك الجراكسة]

أولهم الملك الظاهر برقـوق، ثم ولده الناصر فـرج، ثم أخوه الملـك المنصور عـبد العزيز، ثم الخليفة المستعين بالله العـباس، ثم المؤيد شيخ، ثم ولده المظفر أحمد، خُلع وسُجن حتى مات، ثم ولدهِ الصالح محـمد ابن الظاهر ططر، ثم الملك الأشرف برسباى، ثم ابنه العزيز يوسف، ثم الظاهر جـقمق ثم ابنه المنصور عثمان خُلع وسُـجن حتى مات، ثم الأشرف إينال، ثم ابنه المؤيد أحمد، ثم الظاهر خُوشْقَدَم، ثم الظاهر بَلْباى، ثم الظاهر تَمُرْبُغا، ثم الأشرف قايتباى، فكان هو السـادس عشر أقام أربع سنوات، ثم خلع نفسه، ثم أعيد فى يومه بسبب مماليكه، ثم أقام حتى مات ثم تولى بعده الملك الناصر محمد.

ثم تولى بعده خاله الملك الظاهر قانصوه ثم تولـى بعده الأشرف جانبلاط، ثم العادل طومان بـاى، ثم الأشرف قانصـوه الغورى، قـيل: ثم طومان باى ابن أخى الـغورى، ثم سليم شاه، ثم ولده سليمان.

والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدى محمد وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا، أبدًا دائمًا إلى يوم الدين. آمين - ١٠٧٣هـ.

فهرس الفهارس

١ - فهرس الآيات القرآنية.

٢ - فهرس الأحاديث.

٣ - فهرس الأعلام.

٤ - فهرس الأمم والطوائف والجماعات.

٥ - فهرس البلدان والأمكنة.

٦ - فهرس الأيام.

٧- فهرس الكتب الواردة فى متن الكتاب.

٨ - فهرس الألفاظ الاصطلاحية.

٩- فهرس الشعر.

١٠- مصادر المصادر والمراجع.

١١- فهرس المحتويات.

١ - فهرس الآيات القرآنية

٢ - فهرس الأحاديث النبوية

٣ - فهرس الأعلام

٤ - فهرس الأمم والطوائف والجماعات

٥- فهرس البلدان والأماكن

٦- فهرس الأيام

٧- فهرس الكتب الواردة فى متن الكتاب

٨- فهرس الألفاظ الاصطلاحية

٩- فهرس الأشعار

١٠- فهرس المصادر والمراجع

- أخبار الدول المنقطعة: ابن ظافر (على بن ظافر ت ٦١٣ هـ) مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠١م.
- أسد الغابة فى معرفة الصحابة: ابن الأثير (على بن محمد ت ٦٣٠ هـ) دار الشعب، القاهرة ١٩٧٠م.
- الإشارات إلى معرفة الزيارات: الهروى (أبو الحسن على بن أبى بكر ت ٦١١ هـ) دمشق ١٩٥٣م.
- الإصابة فى تمييز الصحابة: ابن حجر (أحمد بن على ت ٨٥٢ هـ) دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٠م.
- بدائع الزهور فى وقائع الدهور: ابن إياس (محمد بن أحمد ت ٩٣٠ هـ) مطبعة عيسى الحلبى، القاهرة ١٩٧٥م.
- تاريخ الأدب العربى: بركلمان، دار المعارف بمصر ١٩٦٨م.
- تاريخ الإسلام: الذهبى (محمد بن أحمد ت ٧٤٨ هـ) دار الكتاب العربى، بيروت ١٩٨٧م.
- تاريخ التراث العربى: فؤاد سزكين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.
- تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب وسورية وبلاد العرب: د. حسن إبراهيم، مكتبة النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٤م.
- تاريخ القضاعى (محمد بن سلامة ٤٥٤ هـ) جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٩٩٥م.
- تجارة مصر فى البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العربية: د عطية القوصى، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٦م.
- تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات: السخاوى (نور الدين أبو الحسن على بن أحمد ت بعد سنة ٨٨٧هـ) مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٨٦.
- تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين: الشرقاوى عبد الله بن حجازى ١٢٢٧ هـ) المطبعة الأزهرية المصرية ١٣١١هـ.
- التنبيه والإشراف: المسعودى (على بن الحسين ت ٣٤٦ هـ) طبعة ليدن ١٨٩٣م.

- جواهر البحور ووقائع الدهور وعجائب الدهور، وأخبار الديار المصرية: ابن وصيف شاه (إبراهيم بن وصيف شاه، كان موجودا سنة ٦٠٦هـ) نسخة فى خزانة خاصة.
- جواهر السلوك فى الخلفاء والملوك: ابن إياس (محـمد بن أحمد ت ٩٣٠ هـ) مخطوطة مكتبة أحمد الثالث.
- حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة: السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ) مطبعة عيسى الحلبى، القاهرة ١٩٦٧م.
- الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة: على باشا مبارك ت ١٣١١هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م.
- الخطط: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: المقريزى (أحمد بن على ت ٨٤٥هـ) مصورة عن طبعة بولاق ١٢٧٠هـ.
- سكردان السلطان: ابن أبى حجلة (شهاب الدين أحمد بن يحيى التلمسانى ت ٧٧٦هـ) طبعة الخانجى، القاهرة ٢٠٠١م.
- الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة: ابن عبد الظاهر (محيى الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر ت ٦٩٢م) الدار العربية للكتاب، القاهرة ١٩٩٦م.
- الرسالة المصرية: أبو الصلت (أمية بن عبد العزيز الأندلسى ت ٥٢٨ هـ) مطبعة مصطفى الحلبى، القاهرة ١٩٧٢.
- سيرة أحمد بن طولون: البلوى (أبو محمد عبد الله بن عمير من علماء القرن الرابع الهجرى) مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا: القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على ت ٨٢١ هـ) نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٦٣م.
- صحيح مسلم (مسلم بن الحجاج ت ٢٦١ هـ) دار الحديث، القاهرة ١٩٩٧م.
- طبقات المناوى: الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية: المناوى (عبد الرءوف ت ١٠٣١هـ) المكتبة الأزهرية، القاهرة.
- فتوح مصر والمغرب: ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله ت ٢٥٧هـ) مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٥م.
- الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة: ابن ظهيرة (محمد بن محمد القدسى ت ٨٨٠هـ) دار الكتب المصرية ١٩٦٩م.

- فضائل مصر وأخبارها وخواصها: ابن زولاق (الحسن بن إبراهيم الليثى ت ٣٨٧ هـ) مكتبة الخانجى، القاهرة ٢٠٠٠م.
- فضائل مصر المحروسة: ابن الكندى (عمر بن محمد بن يوسف من علماء النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى) مكتبة الخانجى، القاهرة ١٩٩٧م.
- كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال: المتقى الهندى (علاء الدين على ٩٧٥هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩م.
- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين: ابن حبان (محمد بن حبان البستى ت ٣٥٤ هـ) دار الوعى، حلب ١٤٠٢هـ.
- مختصر تاريخ دمشق: ابن منظور (محمد بن مكرم ت ٧١١ هـ) دار الفكر، دمشق ١٩٨٤م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودى (على بن الحسين ت ٣٤٦ هـ) بالمكتبة العصرية، بيروت ١٩٨٨م.
- المغرب فى حلى المغرب ـ الجزء الخاص بمصر: ابن سعيد (على بن موسى ت ٦٨٥هـ) مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة ١٩٥٣م.
- المقفى الكبير: المقريزى (أحمد بن على ت ٨٤٥هـ) دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩١م.
- النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة: ابن سعيد (على بن سعيد المغربى ت ٦٨٥هـ) مركز تحقيق التراث، القاهرة ١٩٧٢م.
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة: ابن تغرى بردى (جمال الدين يوسف ت ٨٧٤هـ) مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٣م.
- نهاية الأرب فى فنون الأدب: النويرى (أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٢ هـ) النسخة المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٣م المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ـ بدون تاريخ.
- الوافى بالوفيات: الصفدى (خليل بن أيبك ت ٧٦٤ هـ) تحقيق مجموعة من العلماء، بيروت ١٩٤٩ وما بعدها.
- وفيات الأعيان: ابن خلكان (أحمد بن محمد ت ٦٨١ هـ) دار صادر، بيروت ١٩٧٢م.
- الولاة: الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف ت ٣٥٠هـ) دار صادر، بيروت ١٩٥٩م.
- يتيمة الدهر: الثعالبى (عبد الملك بن محمد ت ٤٢٩ هـ) بيروت ١٩٧٩م.

١١- فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد / الطاهر
ت : ٥٩٢٢٦٢٠ فاكس ٥٩٣٦٢٧٧